عيون الصفوة

إسم الــكتاب :عيون الصفوة
إسم الكــاتــب :سحر عبدالقادر
تصميم الغــلاف :عبدالله عباس
تدقيق لــغــوي :فاطمة هاشم
تنسيق داخلي:محمود عماد
رقــم إيــداع :
تــرقيم دولــي :

شارك سطورك مع العالم

عيون الصفوة

سحر عبدالقادر

The Writer Operation

شارك سطورك مع العالم

اهداء

الي أول من امسكت بيدي وانا أخط بالقلم وإلي أول من قرأت كتاباتي حين كانت خواطر وأشعار صغيرة ومن وقفت بجانبي حين أحببت الأبحاث وعلوم الآثار والتنقيب وعلوم الفلك... الي من وقفت أمامي لترشدني كيف أعبر عن نفسي حين صَمِت بخوف امام الجميع.... إلي من آمنت بقوة قلمي وكلماتي.... إلي من بكت معي حين بكيت لاول مرة حين كتبت وتقبلني الجميع... إلي أم وقفت بجانبي وساندتني وعبرت بي من الصمت والخوف إلي قلب لم يعد يعرف طريق سوي التحرر والنجاة في تلك الحياة.....لكِ فضل علي لا أنساه حتي الممات... فلكِ مني كل الحب والتقدير والإمتنان...

الي العظيمة أمي

المهندسة خيرات أبو الروس

الاهداء ٢

في طرقات الحياة نتقابل أحيانا مع من يؤمن بنا.. يشجعنا... ينير دروب طرقاتنا بكلمات من نور... تجعلنا نري أنفسنا في أبهي صورة نستطيع بها المرور بسلاسة بداخل الإبتلاءات... فنحب أنفسنا خلال حبنا لهم... ونرتاح دوما للتواجد بجانبهم.... ونقابل في أحيانا أخري من يهدمنا ويقلل من طاقتنا وطموحنا فقط لأننا نختلف معه... ولا نستطيع أن نصبح ماهو عليه... من كسروا فينا الأمل... وتناسوا أن الحياة بمفردها أقسي من أن نتعايشها بقسوتها مع قسوة كلماتهم... فألمونا ومروا فوقنا وخلالنا وكأنهم لم يفعلوا شيئ.. فإلي الجميع... أهدي هذا المولود الجديد... ما كنت لأصبح عليه لولا تعدد الإنهزامات والإنكسارات من البعض... والنجاة والصمود من جديد بدعم الأخرين..... فقط أشكركم لمنحي (تجربة) أن أحيا (بداخلكم) عن طريق بعض الحروف والكلمات

#sahar_abdelkader

البداية

... سطح بناية أرضيته من المرايا... يقف فوقها شخص لا يوجد له انعكاس على تلك المرايا.. رأته صفوة بعينها.. صفوة بطلة تلك الرواية... فتاة في العشرين من عمرها ..محجبة منذ نعومة أظافرها... بيضاء ذات بشرة لامعة... تدل أن بشرتها دهنية دائمة.. طولها متر وستين ... ورفيعة هي كالقوام الممشوق.. عيناها تلك العسلية المضيئة في أشعة الشمس البراقة... تزيدها جمالا على جمالها أطنانا... ذكائها يُحترم.. حديثها بحساب وسكوتها لتفهم كيف يدور الكون حولها لتتحرك تبعا له...

الرؤية الليلية لها مدهشة... في البداية ظنت انها تحلُم وهي ليست نائمة ولكن أمام إصرارها بحقها في المعرفة رأت أن تقترب لترى ماذا تريدها أن ترى تلك النافذة....

شخص يقف على سطح كالمرايا لا يوجد له انعكاس عليها... اقتربت لتراه من قريب عسي تعرف ماذا يريد... لم تنده مخافة فراره... مشت ببطئ نحوه وتوقفت قبل أن تصل إليه ببضع خطوات.. كأنه يقف بداخل هالة يحفها الثبات... تخرج منها عدة طاقات.. حرارة وضوء بمشتقات الألوان النارية... حمراء وبرتقالية وزاهية صفراء... لم تعد تستطيع الاقتراب... شعيرات فوق يدها حين اقتربت كأنها احترقت وصاحبتها رائحة شياط... صرخت بصوت خافت من المها... فبدأ يشعر بوجودها... بدأ يستدير وكأنه ملك من الملوك... بهيئته قوة وحزم وشموخ... طوله يكاد يكون مترين أو

أزيد قليلا... ولم يكن بالعريض ولا النحيل... كأنه كان بمعسكر للجيش أو ماشابه... سواد شعره وحواجبه العريضة وكأنه في الليل الحالك لا يظهر إلا بإنارة هالته حين يقترب منه شخصا مريبا..... عيناه متسعتان مخيفتان وكأنهما لم يُخلقا ليطمئنا بهما شخصا سواه...

ابتسم بنظرة مرعبة لصفوة.... كيف كانت رحلتك للوصول إلى هنا...

أجابت صفوة قائلة... هل كنت تتوقع زيارتي؟ انا لا أعلم كيف أتيت ولا أين انا؟ من انت؟ وماذا تريد مني؟ أصابها هلع وخوف...

رد بحزم وابتسامة غائبة... انا لا أريد أن أفزعك... فقط أن تسيري معي بخاطرك.... ولكن قبل أن نتحرك إلى عالمي... إليكي بثلاث شروط.. اذا اتبعتني؟ هل ستأتي بكامل ارادتك؟ ...

إلى أين؟ كان رد صفوة مسرعا...

هذا هو الشرط الأول... لا أسئلة... عليكي اجتياز ثلاثة مراحل قبل أن أسمح لك بإلقاء الأسئلة...

انتظرت صفوة قليلا... وقالت لا أريد أن أذهب بمكان لا أعرف أين هو ولا مع شخص لا أدري من هو ولا على أي هيئة هو... ولا متى سأعود... ولا كيف سيكون حالي معك...

قال لها هل تعلمين سبب وجودك في تلك الحياة؟

أجابت صفوة العبادة لله...

أجابها وهل ستقضين عمرك بأكمله تتعبدين؟؟ ماذا بعد ستفعلين؟؟ مايريدني الله أن أكون عليه...

أجابها حسنا في رحلتك تلك ستخرجين منها مُيقنة بما تُريدين... فهلا أسرعتي الآن وأجبتينني برأيك...

أجابت ماهما الشرطان الأخران؟

أجابها... ان لا تقرأي أي شيء ترينه بصوت ولو خفيف. والأخير أن تصدقي ماترين ولو كان مستحيل للعقل والمنطق ...ماقولك ويالیتك تُسرعين؟؟.

قبل أن أوافق هل لي بسؤال واحد ما اسمك ومن تكون؟

هذان سؤالان... وسأجيب على الأول... انا بطليموس ابن كركيلوس... انا آتية معك بإذن الله والله خير حافظ....

فتح لها بابا من هالته وأصبحت لم يفصل بينهما بضع خطوات... لم تحترق ...بداخل الهالة برودة كأن طاقتها كلها بالخارج.... أعطاها لمسة من ابهام يديه على جبينها فتعادلت حرارة جسديهما معا.... وانطلق في هالته مسرعا عبر طبقات السحاب...

الفصل الأول

ظلت صفوة تتابع بدهشة منظر السحاب... تنتظر ما سيحل بها عما قريب... تذكر نفسها بالشروط الثلاث... لا أسئلة.. لا قراءة باللسان أو بالشفاه... لا انبهار بل تصديق وامتثال.. أخذت نفسا عميقا وقالت انا جاهزة...

نظر إليها بطليموس ماذا انتي قائلة؟

قالت لا شيء فقط استعد جيدا لما سأرى....

هبطت هالة بطليموس على سطح مبنى لم تعلم ما هو... كانت ستسأل ولكن نظر إليها مسرعا بإيمائة رأس للجانب وللأسفل معا تُسّكِت فضولها.. أخرجها من هالته ومشي إلى ناحية إحدى زاوية السور البني ليرى ما بالأسفل... تبعته لتنظر مثله...

قالت في نفسها... ماهذا انها مدرسة ثانوية مشتركة... لماذا أتي بي إلى هنا... أشار إليها بزاوية بعيدة المدى عن بصرها...

قالت لا أرى...أمسك بهواء بين إصبعيه وأمسك بهما بيديه كأنه يمسك ببرواز مربع وقام بتكبير الصورة... صرت أرى بوضوح الأشخاص عن بعد... استطعت تكبير الصورة وتصغيرها مثله... لقد فعلتها.. انا حقا أفعل... قطعت كلامها لنفسها وتذكرت الشروط الثلاث وقالت انا أصدق ما أرى.... بيت خشبي عالي فوق شجرة كبيرة مورقة بورق خضاره زاهي تقف على مدخله فتاة جميلة ذات عيون زرقاء.. نحيلة هي وترتدي مريلة خضراء وتحتها بنطلون كموني وحذاء أسود فوق جوارب بيضاء.... شعرها أصفر

قصير للكتف. ولكنه كثيف لها غُرة على وجهها تزيدها جمالا وتجعل وجهها مستديرا... وقفت تنظر للأسفل بنظرة ألم... عيناها تدمع وكأن بهما ندم أرادت النزول فأحضرت حبلا سميكا كان بجانبها ونزلت مسرعة إلى الأسفل... قابلها شاب أسمر الوجه بشعر أكرت ملتف حول بعضه البعض..

إلى أين تذهبين يا هدى؟

... كان ذاك اسمها... قالت له أهلا أشرف... سأقوم ببعض الأعمال حتى تعود سمر من محاضرتها الأخيرة...

قال أشرف لقد رأيتها... لقد تم إلغاء محاضرتهم فقد اعتذر مدرسهم...

قالت هدى غريبة ولكنها لم تأتى إلى الآن...

قال لها هل انتي بخير؟ أراكي مضطربة...

قالت لا شيء انا فقط أشعر ببعض ال... لا شيء انا بخير...

تركها وقال إذن سأتركك وأذهب لأصدقائي..

قالت حسنا... تركها وذهبت مسرعة متخفية خلف شجرة كبيرة.. بأسفلها غطاء مربع له يد على شكل أسطوانة كبيرة... أخذت تخلع حذائها ثم أسقطت بنطالها الكموني وارتدت حذائها وألقت به خلف تلك الأسطوانة يكاد لا يُرى منها... وأخذت تبكي وتصيح حتى سمعتها سمر وهي أتية... سمر في الثامنة عشر من عمرها مثل هدى ولكنها أكثر اتزانا وجمالها طبيعي وبشرتها بيضاء صافية بشعر بني غامق طويل نسبيا... ترتدي نفس ملابس هدى ..

أسرعت إليها سمر لما تبكين؟؟

قالت هدى أشرف الذي تحبيه...

قالت سمر ماذا فعل؟؟ قالت هدى لن تصدقين..
سمر بتعصب ماذا تقصدين... أسرعي ماذا حدث؟؟
قالت لها لقد حاول أن.... لا أستطيع... لم أعد أقوى على البوح... لقد راودني عن نفسي...
قالت لها هذا مستحيل...
قالت هدي أتصدقينه ولي تكذبين؟! ... انا صديقتك الحميمة تخسرينني وبه تمسكين! ...
قالت لها في ذهول انا لا أعلم ماذا علي أن أقول... اهدئي قليلا حتى ألتقي به وأسمع منه لما فعل ذلك..
قالت هدى أما زلتي سترينه بعد الآن؟!. لقد حاول أخذ أعز ما أملك ألا ترينني أقف في ذاك البرد بدون بنطالي؟؟...
أين هو ياهدى؟؟...قالتها سمر وهي تبحث حولها يمينا ويسارا...
قالت لها لا أعرف أخذه بعدما حاول معي وهددني أن يفضح أمري إذا تحدثت إلى أي شخص...انا لا أعلم كيف سأرفع عيني أمام الجميع ...لقد أزلني انا لن أستطيع العيش بعد الآن ...وأصبحت دموعها تنهمر ...
احتضنتها سمر مسرعة..
لا تخافين انا هنا بجانبك إلى أين ستتركينني وترحلين... هيا إلى غرفتنا العالية لتسترحين...
هدى: إلى أين انتي ذاهبة ياسمر؟؟...
سمر:سأحضر لكي ولي شيء نأكله...
ذهبت سمر تبحث عن أشرف... سألت عدة أصدقاء إلى أن أخبروها بمكانه...

وأخبرته بما حدث
قال لها مقسما بالله ما حدث منه ذلك أبدا...
قالت سمر:وما العمل إذا؟؟
قال أشرف: تراقبينها وتحاولي أن تظهري لها انكِ لي تكرهين...
سمر: ولكن لي أصدقاء أخبروني بأنك كنت تقف معها قبل حضوري
أشرف: صحيح ولكني سألتها عما بها وقالت انها بخير بدموع في عينها فلم أرد مضايقتها وقلت لها كما تريدين... وذهبت إلى أصدقائي وانا معهم منذ الكثير... احتارت سمر أكثر وأكثر.. صديقتها المقربة أم صديقها الذي تحبه... أجمعت على كشف الأمر ولو بعد حين...
أسرعت سمر إلى استراحتهما هي وهدى لتجد هدى تنتظرها ومازالت بدموعها تهيم... قالت لها سمر هناك أناس رأوا ما فعله أشرف بك...
قالت هدى مستثيرة غضبا... كيف ذلك؟؟!!..
قالت سمر: لقد سألت وهناك من رأوه وسيشهدون معكِ أمام المدير ضد أشرف فقد سلمته بيدي ولم ينكر فعلته ذاك المغتصب اللئيم.... وهم الآن يبحثون عن المكان الذي فعل به فعلته وعن مكان اخفاؤه لبنطالك ليكون عليه الدليل... صرخت هدى في سمر ماذا تقولين؟؟؟....
قالت سمر لها: المدرسة بجميعها باتت تعلم الآن انك الصادقة وما كنتي تكذبين... سأذهب اتفقد الأمر إلى ما وصل عليه وأعود مسرعة بالخبر اليقين.. أسرعت سمر ونزلت من حجرتهم الخشبية واختفت عن أنظار البرج.... وأخذت تراقب هدى من بعيد... لكن حدث ما كانت تتوقعه لقد نزلت هدى لمكان تخبئتها لبنطالها وأخرجته مسرعة فأمسكت بها سمر

مسرعة... ألم تقولي انكِ لمكانه لا تعلمين؟؟... وأن أشرف من أخذه لجعلك له تدينين؟؟ لماذا فعلتي ذلك... أبداخلكِ لي كل ذاك الحقد تحملين...أصبحت هدى تبكي

قالت سمر لا تحاولين ...قد سقطتي من ناظري ولن أعود صديقة شيطان رجيم.. وقفت صفوة منزعجة لما ترى ...ساخطة على هدى كيف تفعل وكيف تدمر سمعتها وكيف تفسد سُمعة شخص برئ...انا أصدق حقا ما أرى ...سأنتظر لأرى المزيد....

ذهبت سمر باكية ومسرعة إلى أشرف وما إن وصلت وجددته يضحك بصوت عالي مع أصدقاؤه..تريثت قليلا لتستمع فقد كانوا يحتفلون بإسقاط صديقة سمر في نظر الجميع ...فحبيبها أمرها بفعل ذلك وإلا سيخبر الجميع بما يعرفه عنها وعن أهلها أجمعين...انصدمت كلا من سمر وصفوة التي تراقب من بعيد ...ابتسم بطليموس وقال لصفوة ..تصديقك لكل ما ترينه بعينك لا يعني انه صحيح...هو فقط صحيح بقدر مارأيتي..

قالت صفوة: انت أخبرتني أن أصدق ما أرى..

قال أولا تفكرين؟؟...ثبات أشرف عند سؤال سمر له ألم يجعلكِ تشكين؟؟

قالت لا ظننته رزين...

قال لها تجهزي... ففي هالتي بعد قليل ستنطلقين...

أعطى بطليموس ظهره إلى صفوة لَيهِم بالرحيل.. وما إن تحرك خطوتين حتى قامت صفوة بتكبير الصورة المطلة على أحد الفصول الدراسية لتتحقق من التاريخ المكتوب واذا به مكتوباً كالآتي... الأربعاء الموافق ١٨ من مارس ١٩٨١...انفتحت أعين صفوة كثيرا وحدقت... كيف عدت بالزمن للوراء...

هل هي رؤية أم اني أتخيل... ناداها بطليموس مرتين فاستفاقت من شرودها وردت مسرعة اني أتية... قال لها بماذا تفكرين قالت لا شيء فقط أركز لعلي أفهم ما يدور حولي دون أن أخلف عهدي وأسألك.. لا تبالي بما في عقلي يدور... ماذا تود أن تريني الآن... اني مستعدة...

دخلت صفوة هالة بطليموس من جديد... وارتفع فوق السحاب...قالت هذه المرة سيعود بي بالزمن إلى الوراء بتلك المدة التي تتعدي الأربعين عاما... استغرق وصولهم أربعة دقائق ونصف. وهبطوا فوق سطح البحر تلك المرة لتجد نفسها واقفة على الماء... للوهلة الأولى تشبثت به مخافة السقوط والغرق... ولكنه أفلت يدها في نظرة صارمة ونفض ملابسه مخافة أن تثنيها مسكاتها... اعتذرت صفوة وقالت لنفسها قفي مكانك ولا تتحركي لتغرقي... أشار إليها بطليموس أن ترفع وجهها وتشد جسدها ليستقيم وتتنفس من أنفها الشهيق وتخرج من فمها الزفير وتتحرك... فعلت فإذا بها تسير فوق الماء...سمعت صوت ارتطام شيء صلب بالماء فتلفتت حولها حتى رأت غواصة عملاقة تصعد إلى السطح... وقفت لتنظر وتتمعن... فتذكرت قدرتها الآن على تكبير الصورة... فكبرتها وليتها لم تفعل ذلك بمفردها

الفصل الثاني

أخذت صفوة تكبر الصورة بيدها ويدها ترتعش فقد كانت تكبر صورة وحش على هيئة حيوان لا تعرف له اسما من سجل أسماء جميع الحيوانات التي تعرفها... وجهه مثلث مقلوب والشعر الكثيف ينقسم فوق جبينه لترى من خلاله عين وسطى نظر بها إليها وكأنه رأها وهي تركز في هيئته فاستدار لها لترى بنفسها ورفع عن وجهه الشعر الكثيف... فظهرت معالمه التي زادتها رعبا وحيرة... في وجهه ثلاثة عيون.... اثنان منغلقتان والوسطى فقط مفتوحة... وأنفه لا تكاد تظهر ولكنها يقينا موجودة من ثلاث فتحات صغيرة في وجهه ... وفمه ما إن تبسم حتى أظهر من الأسنان صفين سوادهما لا يكاد يظهرا في الليل من شدة سوادهما... جسمه كإنسان هرم من العمر وانحني عظم كتفه ... ويداه بها إصبع زائد في كل كف... وقدمه قدم غريبة... كأنها تشبه قدم الفيل من الخلف... ومن الأمام قدم ذئب كبيرة... ليتلاقوا في المنتصف بنفس الحجم تقريبا.... أفاقت صفوة من مراقبتها وتمعنها على نظراته إليها وابتسامته المرعبة والمخيفة ونظرت لبطليموس وقال لها لا علاقة لي بالأمر...انظري لما سترين... أزاحت صفوة بنظرها عن بطليموس ببطء رجوعا إلى الشيء الغريب أمامها... لتجده قد اختفى... أخذت تكبر جميع الصور في النوافذ المقابلة حتى وجدت عمالا وأناسا من جميع الأجناس والحيوانات يعملون ويتحدثون مع بعضهم البعض بلغة لا تعلم فحواها... لم تستطع فهمهم ولكن بدأت تركز مع همهمة شفاههم

وحركاتهم لتفهم جزء مما يقولون... وجدت مجموعة من النمور يقفون أمام طاولة مستديرة بها بعض الشباب ويجلس على كرسي كبير بمسند طويل شاب أية في الجمال.... كأنه ولد ليحكم... وأخذ يشاور بعصاة في يده على الورقة الخضراء الكبيرة التي على الطاولة... كبرتها لتراها... انها خريطة... ولكنها جميعها زرقاء كأنها خريطة للماء.. ماهذا... الماء يتحرك فوق الورقة الخضراء... جاء بطليموس من الخلف وشق لها البحر بيده في الصورة... فرأت مدينة لم ترى مثلها من قبل... وكأن الخريطة مفتاح لقوة أعظم وأكبر... إنها طاقة شمسية هائلة... تجعل منها المدينة المشمسة دائماً .... عاد بطليموس بضع خطوات للخلف وقال لها ليس لدينا الكثير من الوقت... أسرعي... لم ترد صفوة أن تسأله لماذا... أو ماذا تريدني أن أرى... تماسكت كي لا تخسر تلك المرحلة... دخلت المدينة من نافذتها... وتعلمت فتح جميع الأبواب المغلقة كما علمها بطليموس... حتى رأت ماجرى...

شخصان يسيران على مرتفع من الصخور فوق المحيط المليء بالسفن... يتحدثون بالإشارة إلى ورقة في يد أحدهما... ويشاوران على إحدى السفن الحربية الراسية على جانب المرتفع... فتحت صفوة الورقة التي بيدها فوجدتها رسالة بختم غريب... يكاد يشبه قدم ذئب من الأمام وقدم فيل من الخلف... شهقت في ثبات... هذا ملك تلك الأرض.... دخلت السفينة المشارة إليها... فوجدته جالسا على عرش كأنه من ياقوت أحمر وألماظ أشار إليها بإصبعين فوجدت حلقها يؤلمها... انه يخرج لسانها عنوة... حاولت الاستغاثة ولكنها فشلت... وبطليموس يشاهد كأنه يعلم.... فجأة تركها ... وقال لها الآن تتكلمين مثلنا... لكي سؤالين ولي مثلهم منكِ اثنين...

قالت من انت وفي أي عام انا؟؟
أجاب انا الملك بأريوس مالك البحور السبع... ونحن الآن في عام القرد عام ٢٠٩٠...
قالت ما سؤاليك ؟؟
أجابها... أما الأول... كيف لكي كبشرية أن تري ما انتي عليه كيف انفتحت لكي تلك النافذة؟ وما حال الجنين الذي بباطن أختك إذا كنتي وصلتي إلى هنا؟ أجابت أما الأول فلا علم لي إلى الآن كيف استطعت الوصول ولا لأي غرض انا هنا.. وليس لدي إخوة إناث فكيف أعرف حال جنينها... قال لها انتي مدينة لي بالرجوع حال معرفتك الإجابة.. ومن الآن فصاعدا لسانك مختوما بختمي... ملك البحار السبع... تجوبين فيه كما شئتي ولكن كلمح البصر... لا تسترقين السمع ولا تلتقطين شيئاً وإلا صرتي من عبيدي هؤلاء جميعهم خلفوا الوعد وأضاعوا العهد....
قالت انا على العهد...
قال أبلغي حفيدك مني السلام فإنه سيكمل ما بدأتيه دونا عن جميع نسلك.... ارحلي في أمان.... نظرت لبطليموس وقال لها هيا فالوقت منا ينفذ....
قالت له انا جاهزة للانطلاق الآن.

الفصل الثالث

دخلت صفوة هالة بطليموس للمرة الثالثة... تريد أن تسأله هل ستعيدني إلى هنا ثانية أم سأتي بمفردي ولكن كيف سأتي وانا لا أعلم الطريق.. انا على عهدي لن أسأل عن أي شيء وها هي قد هانت لعلي أستطيع التحدث ولعل بطليموس على أسئلتي يجيب..

مرت هالته بجانب غرفة نوم سريرها على البحر ممهد كالموج لا تكاد تراها من شدة شبهه لموجه... تنام عليه امرأة مقيدة بسلاسل من نور ما إن حاولت صفوة التركيز حتى شعرت بنور عينها يزيد إلى حد الحرقة

فقال لها بطليموس شروط ملك البحار السبع...

قالت وهي متألمة لقد نسيت... أن أمر كلمح بصر ولا أسترق السمع... صدقت صدقت ...

وصلت الهالة الآن إلى أرض صحراوية... تكاد تكون طينية مستحدثة... الزرع فيها شحيح وعلى مدد النظر هناك بيت من الطوب الرمادي المصنوع يدويا من بصمات الأيدي عليه في أركان وأركان أخرى ممهدة بشيء مثل الأسمنت ولكن لونه مختلف... يجلس أمامه رجلان يلبسان جلاليب سمنية وفوق رؤوسهم عمامات تجعل من هيئتهم فلاحين قدامى... لم يقوموا لتحيتهم ولم يعرضوا عليهم مضايفتهم... وحين تمعن النظر في نظراتهم ترى انهم حقا لا يرونهم... قال بطليموس لصفوة ادخلي تلك الدار وسأنتظرك هنا ...همت بالدخول فوجدت امرأتان عند بيت الحيوانات يقومان بحلب

بقرة وجاموسة... ويضحكان... تركتهما وذهبت عند الفرن حيث تشم منه روائح الخبز الشهي... وجدت ثلاث نساء يخبزون وخمسة أطفال يلعبون حولهم.. ووجدت واحدة أتية عليهم من خارج قاعة الخبز تعدل من ملابسها وتحاول تخبية شيء في صدرها تبعتها صفوة فوجدتها تهرول مسرعة للداخل وتصرخ نعمان سقط في الترعة... انجدوني... نعمان طفل ذو عشر سنوات ابن إحدى النساء... هرعت النساء للخارج ونسوا الخبز بالفرن ليحترق... فأسرعت المخبرة بإخراج زجاجتين من صدرها وقامت برشهم على إحدى طاولات الخبز الناضج... لكن كان سائلا أصفر فاتح... والأخر أبيض.. رشتهم فوق واحدة فقط وكأنها تعلم لمن تلك الطاولة... وذهبت تجري بنفس طريقهم فوجدت النساء والرجال عائدون فتوارت عن أنظارهم وسمعتهم يواسون إحداهما أن الحمد لله الذي لم يحدث له مكروه... واستدارت من الخلف لتظهر وكأنها كانت معهم عند الترعة... وقالت لإحدى سيدات المنزل سأذهب لبيتي وزوجي وأولادي اتفقدهم حمدا لله على سلامة نعمان... شكرها أهل البيت نساءا ورجالا وأخبروها انهم لن ينسوا فضلها فهي الطيبة أم احسان فشكرتهم وانصرفت في ثبات... عادت الثلاث نسوة لعملهن فوجدوا باقي الخبز قد احترق فقاموا برميه... ووزعوا الطاولات الناضجة على الثلاث وكانت الطاولة المرشوشة من نصيب نعمات... امرأة في الخامسة عشر من عمرها متزوجة من أحد أبناء الرجل الأول بالخارج... وحامل في شهورها الأولى... أخذت نعمات رغيف خبز تأكله فقد أنهكها الجري إلى الترعة حين قلقت على نعمان ابن أخ زوجها الكبير... وما إن مضغته حتى استقر في معدتها إلا وقامت بالاستفراغ المتتالي

وهرول الجميع إليها ولكنها قد فقدت الوعي من كثرة الوهن... أسرعت صفوة تبحث في كل البيوت المغلقة أبوابها بنفس طريقة تعلمها السابقة حتى وجدت بيت أم إحسان ووجدتها جالسة أمام مشعل مربع من النار تقرأ أرقاما وكلمات وتحرق فيها الزجاجات وأختام... اقتربت الصورة لصفوة وأخذت تحني رأسها يمينا ويسارا لتقرأ ما في تلك الورقة ولكن أفاقت على يد بطليموس على كتفها فتذكرت الشرط الأول ألا تقرأ بصوت عالي ولا حتى بشفاهها... ولكنها حفظت أماكن الأرقام والحروف في تلك الورقة قبل إحراقها... قال لها هيا الآن فقد حان موعد الرحيل... قالت له أمهلني لحظة واحدة... أخذت تفتح وتغلق بيوتا ومنازل تبحث عن أي. ورقة تُعلمها بالتاريخ... إلى أن وجدت بيت لحفظ القرآن يسمى كُتاب يملي الشيخ على الأولاد التاريخ فكان كالآتي.. السابع من مارس لعام ١٨٧٥م... أسرعت بالذهاب لبطليموس الذي أخبرها انها قد نجحت في اجتياز الثلاث مراحل... ومن المرحلة القادمة ينفتح لها شرط. السؤال وهو عليه الجواب... ركبت هالته... وأعادها إلى سطح المنزل الزجاج الذي أخذها منه.. فسألته لما عُدت إلى هنا؟؟...

قال لها لتبحثي بنفسك عما ورد في ذاك...علي الذهاب... وقبل أن أتركك قليلا... افتحي يديكِ اليسرى وطبع مثلث منقسم لثلاث على ثلث ماء وثلث هواء وثلث رمال صحراء... جميعهم يتحركون اذا ما أمعنت النظر فيها... تركها ووضع إبهامه على جبينها ليعيد إليها حرارتها ...وقال لها اذهبي في علم انتِ نسله ومفتاحه....

أفاقت صفوة لتجد نفسها على سرير غرفتها وبجوارها كتابها البني الغلاف المصنوع من الجلد الطبيعي.... وتجده مفتوحا على باب الدخول لعالم الخفايا والأسرار للطيبين والأشرار... قالت لقد كنت أحلم... وقفت وعدلت ملابسها وفتحت باب غرفتها لتجد الصالة فارغة من الناس بها سفرة وحجرة معيشة يتوسطها تلفاز مغلق... ذهبت يمينا إلى المطبخ وهي تنادي أمي أين انتِ فلم تجدها...نظرت إلى ساعة الحائط فوجدت الساعة السابعة صباحا... دخلت إلى حجرة والدتها لتجدها جالسة فقالت لها صباح الخير... ما الذي جعلكِ تستيقظين مبكرا؟

قالت لها والدتها: لم أستطع النوم بعد صلاة الفجر فجلست أبحث في تلك الأغراض التي أرسلتها لي خالتك رقية لأتفقد الصالح منها وأرسله إلى دار الأيتام... والتالف أعيد تدويره لعله ينفع أحدا في تلك الأيام...

قالت لها صفوة: ناوليني إياها لأساعدك... وقفت وقامت بجعل الشنطة علي وضع أفقي وفتحت الشنطة الكبيرة وما إن فتحتها حتى وجدت على أعلاها مريلة خضراء وبنطلون كموني... أمسكتهم بيدها وسألت أمها... لمن تلك الملابس؟؟

قالت لها هي لخالتك أيام المدرسة الثانوية من ٢٧ سنة... لقد أحني عليها الزمن...

تسمرت صفوة مكانها وفتحت فمها ووسعت عينها وظهر لسانها وتذكرت الجزء الأول من الرحلة... وقالت هي حقيقة أم اني في حلم لا أعلم ما به.... استفاقت على صوت مناداة أمها لها ماهذا على لسانك ولما عينيك هكذا حين اتسعت..... ذهبت صفوة مسرعة للمرايا وقد وجدت تلك العلامات ظاهرة بالفعل فخافت وهرعت إلى غرفتها وأغلقتها عليها وظلت تبحث عن....

الفصل الرابع

ذهبت والدة صفوة خلفها لترى ما آلم بها.. أخذت تقرع على الباب مرات عديدة... صفوة أجبيني ماذا يحدث؟؟؟

قالت صفوة في صدمة... لا شيء انا بخير ولكن اتركيني قليلا وسوف أخرج إليكِ...

قالت لها بل تفتحي الباب الآن...

فتحت صفوة الباب ووجدتها والدتها دموعها منهمرة وجسدها يرتعش خوفا.. قالت لها ماذا حدث؟؟...

قالت لها لن تصدقين... وانا أيضا لا اص ...لم تكمل الكلمة حتى وجدت علامة على جبهتها تشبه لسعة قطرة زيت مغلية... فصرخت صفوة وبدأت تقفز في مكانها من الألم وهي تُغطي جبهتها بكلتا يديها وأمها أمامها تقول لها لا تفزعيني عليكِ ما هوالذي لن أصدقه وانتِ أيضا رفعت صفوة يدها من فوقها جبهتها فقالت والدتها ماهذا منذ أقل من دقيقة لم يكن بوجهك أي شيء متى حدث ذلك.... تذكرت صفوة الشروط وعلمت انها الآن ملتزمة بها في الصحوة قبل النوم... وأن مارأته حقيقة لا مجال للشك فيها...

قالت لها صفوة:سأخبرك بكل شيء ولكن هلا طلبتي خالتي رقية أن تحضر فورا...

قالت والدتها ولكن الساعة الآن توشك على الثامنة... وخالتك ستذهب للمدرسة التي تعمل بها... قالت لها أخبريها أن تأتي فورا...

خرجت والدة صفوة من الغرفة وهي تشعر بالفزع علي ابنتها وقامت بالإتصال برقية أختها التي لا تجب على تليفون شقتها فأخذت هاتفها المحمول وكلمتها على هاتفها أيضا لترد عليها كالآتي

رقية... خيرا يا امال هل انتي بخير وصفوة بخير؟؟

امال والدة صفوة: لا أعرف صفوة بحالة يرثي لها وتريد منك أن تحضري فورا... أسرعي أرجوكي

رقية.. سأتي إليكِ أختي الصغيرة فورا

دخلت امال لصفوة فوجدتها تقف أمام المرآة تحدق بها وتقول... سأسأل خالتي بعد قليل عن معرفتها بهدي وسمر واشرف وسوف أتأكد من حقيقة ما رأيت... بكت امال علي حال ابنتها وقالت لها أخبريني ماذا بكِ لم ترد صفوة عليها بل أخذت تعيد وتكرر تلك الجملة ودموعها تنهمر إلى أن استفاقت علي جرس الباب وقالت حان الوقت.

أسرعت امال تفتح الباب لتجدها رقية باكية وتسألها وهي تلهث من التعب.. ماذا حدث لصفوة أخبريني... قالت لها ادخلي لها انها تنتظرك... ما إن دخلت غرفة صفوة حتى وجدتها دموع تنهمر مع وجهه شاحب ووجنتين حمراوتين و تخبرها ماذا حدث...

قالت صفوة من هدي وسمر واشرف؟؟

فزعت رقية لما تسمع وسقطت شنطة يدها وأخذت تحدق بصفوة من أخبركِ بتلك الأسماء؟؟

قالت لها صفوة انا من أسألك ما علاقتك بهم ؟؟ ما علاقتكِ بفضيحة هدي؟

صمتت رقية أكثر وساد الصمت والخوف

قالت امال أفهموني انتم الاثنين ماذا يحدث؟؟
قالت رقية لصفوة اجلسي وأخبريني من أخبرك بهما وبماذا أخبرك؟؟
قالت لها لقد رأيت بعيني ما حدث حادثة بنطال هدي...وضحك اشرف وسط أصدقائه وانهيار سمر... رأيت كل شيء كأنني بداخل الصورة...
قالت لها صفوة لماذا رأيت ذلك وماعلاقتكِ انتِ بتلك الحادثة؟؟....
قالت لها رقية: كنت أحب شابا في مدرستي الثانوية اسمه مازن ... كنت حين أراه ينبض قلبي بشدة لدرجة انني كنت أخشي أن يسمعه من حولي.... كنت أغار عليه من نفسه... كنت صغيرة ولا أعي ما أفعل... بكت بشدة وقالت ولكني حقا نادمة... ولم يمر يوما إلا وانا باكية لما حدث لهدي بسببي...
قالت لها صفوة ماذا حدث؟؟
قالت لها أحببته ووجدته في يوم يقف أمام هدي يتلعثم بالكلام... كانت عينه تلمع أمامها هي... وكأنه يشتاق لسماع كلمة منها... لم تكن صديقتي ولا سمر... ولكني كنت أغار من هدي جمالها خلاب وزادها جمالا اعجاب الكثير بها ..ومن ضمن معجبيها كان مازن... ثرت في غرفتي واشتعلت نار قلبي ولم أدر بنفسي إلا وانا ذاهبة لشئون الطلاب وأطلب منهم محل اقامة هدي لأنها مريضة وأود الاطمئنان عليها... أعطوني إياه بعد إلحاح وتعهد بعدم إخبار أحد... وذهبت إلى منزلها كل يوم بعد المدرسة أراقبها لمدة ساعتين أخبرت بهما أمي أن المدرسة تقدم لنا دروس تقوية مجانية بعد انتهاء اليوم الدراسي... وبالفعل راقبت... ووجدت نفسي اسأل حارسة عقارها عن أسرتها والتي ما فرحت أن سألها أحد لتخبره بمصائب عائلتها... أباها سجين في قضية اغتصاب... وتسكن مع أمها التي ذهبت للعمل الليلي كممرضة

ولكنها وجميع حراس العقارات المجاورة يعلمون انها تعمل راقصة... وأحيانا فتاة ليل لتحضر مصاريفها ومصاريف المنزل ...الوحيدة التي لم تنخرط في تلك القذارة هي هدي.... لمعت فكرة في عيني أن أطعمها للشباب فيكرهها مازن... ذهبت لأشرف وأخبرته بدموع عن محبتي لمازن وعن شعورها بإعجابه بهدي وكيف عرفت انها لا تناسبه وسردت له ما عرفت... ولكني لم اكتفِ بذلك بل أخبرته انها تعمل عمل والدتها لتحضر مصاريفها... هنا رأيت الشيطان في عين أشرف وقال لها اتركِ أمرها لي... ولا تحزني سأخلصك منها... ولم أعلم اني سأحمل ذنب لعبتي طوال سنوات عمري... وفعل اتفاقه... وأمرها وهددها وبالفعل اغتصبها وكانت دموعها حقيقية وضحكاته هو وأصدقائه مجلجلة... وانكسرت هدي للأبد واحتقرها مازن مرتين... لعملها ولفعلها المشين مع صديقه.... لم تحتمل هدي ماجرى... ولم تصدقها سمر في البداية وحين سمعت سمر بأذنها كلام أشرف حتى ذهبت إليه وصفعته بالقلم وهي تعتقد انه فقط أذلها ولم يلمسها... انكسف اشرف للحظات أمام حبه سمر ولكن أفاق على كونه ولد ولا يعيب الولد شيئاً... عادت سمر لتجد هدي قد شنقت نفسها في حبل نزولهما من بيتهم الخشبي... حاولت انقاذها ولكنها قد فارقت الحياة.... أخذت تصرخ وتصرخ واجتمع الجميع وتعالت الصرخات والبكاء والعويل... سقطت سمر مغشية عليها بعد صريخ طويل... ظلت تفيق في المشفى لأسابيع أزورها من بعيد لا استجري الدخول إليها ولم يكن مسموحا أيضا... وفي يوم ذهبت لأسال عليها رأيت سيارات للشرطة تتوق المشفى بالكامل سألت ماذا حدث فأخبروني بأن هناك فتاة ألقت بنفسها من نافذة الطابق الثالث وسقطت جثة هامدة...

وظللت سنوات أحمل هذا السر والذنب فوق قلبي وحاولت أن أكفر عنه مرارا وتكرارا وعاقبت نفسي بالبُعد نهائيا عن مازن... ولكني ما زلت أحمل نفس الألم والمعاناة...

صفوة : وكيف سميتي ابنك الأكبر على اسمه؟

رقية: والده هو من أراد ذلك... ولم يكن بيدي شيء... واذا صممت على تغييره كان ليشك بأمري... ولكن خربت بيتي بيدي وخسرت زوجي وابني للأبد... يكفيني كم الألم اللذي أحمله على كتفي منذ قمت بتلك اللعبة...

أفاقوا اثنتيهم صفوة ورقية على سقوط والدتها امال مغشي عليها... حاولوا مرارا إفاقتها ولكنها لا تستجيب فأسرعت رقية باكية بطلب الطبيب الذي ماأتي حتى أخبرهم لا تقلقوا هكذا... هذا أمر طبيعي معها... فهي لم تكن تعلم انها حامل في أخر شهرها الرابع... باركت رقية لأمال وقالت لها أيُعقل هذا؟؟

قال لها الطبيب هذا فهي في بداية الأربعين عاما وقد حاولت هي وزوجها محاولة تكرار الحمل ولكن لم يوفقهم الله لذلك إلى أن أمر بذلك الآن... كتب لها الطبيب روشتة الدواء وأوصاهم بإحضارها بأسرع وقت ليطمئن علي صحة الجنين ولمعرفة نوعه أيضا. وابتسم وشكرته رقية وأوصلته للباب وأخذت هاتفها وقامت بالإتصال بزوج امال لتخبره بتلك المفاجأة السارة... ودخلت المطبخ تعد الطعام لأمال وصفوة ورؤوف زوج أختها إلى أن يحضر ويأكلوا جميعا ...

أفاقت امال لتجد صفوة جالسة ممسكة بيدها... وصوت مفتاح موضوعا في كالون الباب يدل على رجوع رؤوف الذي يدخل مسرعا ليقبل ابنته وزوجته

ويشكر الله على حملها... تدخل رقية بصينية الطعام وتضعها على الكنبة الموازية للسرير... فيقول رؤوف هيا لتأكلي لنستطيع الذهاب إلى الطبيب لنعرف نوع الجنين.... بنت... كان رد صفوة وهي جامدة الملامح وناظرة إلى عين والدتها... لم تستغرب الأختان ولكن الأب بالطبع استغرب... وقال لها هذا ماتتمنين... قالت بل التي بداخلها بنت بالفعل ...نهضت صفوة من مكانها وذهبت لغرفتها وذهبت ورائها خالتها رقية وقالت لها صفوة قبل ان تفتح فمها... لن أخبر أحداً بما سردتِ انا فوق عاتقي هم أكبر بكثير...
قالت لها خالتها ماذا رأيتي أيضا ياصفوة قالت لها طريقي للبحر طويل... ولا أدري أي بحر أذهب أو محيط... ولا أرى أي شيء يساعدني على معرفة الإجابات لأستفيق...
قالت لها رقية لقد بت أخاف عليكِ أكثر من الخوف منكِ ...اتركي كل شيء بيد الله وهيا لتتوضأي لتصلين....
قالت لها آتية خلفك... خرجت رقية وذهبت لغرفة أختها وطمئنتهما علي ابنتهما...
وقفت صفوة أمام المرأة من جديد... رأت دموعها تخرج ثانية ولكنها هذه المرة زرقاء بلون المحيط... أخذت تكبر صورة عينها في مرآتها فكبرت فعلا معها... فرأت بياض عينها بلون أزرق خفيف كأنه بحر يحفه مرتفعان هما جفنان عيناها... ويتوسطها غواصة رمادية ...تلك التي رأتها في رؤيتها .....لقد تغير لون حلقة عينها الحقيقية في عين واحدة إلى الرمادية الداكنة .. حينها همت بشق البحر في صورتها المنعكسة بمراتها بيدها.... دخل أباها خلفها ورأى ما تفعل واتسعت عيناه من هول ما رأى... وما أن حاول التحدث حتى....

الفصل الخامس

دخل رؤوف والد صفوة عليها الغرفة نعم لقد رأى بعينه حركة الماء بالمرآة.. لقد أُذهل مما رأى... قال لها كيف فعلتي هذا؟؟..

قالت لا أعلم انا فقط رأيت رؤية وبدأت بالبحث فنفذت ما كنت أفعله بها وجدتني قادرة على تحقيقها...

قال لها احفظي السر ولا تبوحي به فتختفي الظواهر... ولكن هل قابلتي الملك بأريوس؟

قالت له كيف عرفت يا أبي؟؟...

قال لها إذن قابلتيه... بماذا سألك وبما أجبتيه؟ قالت سألني كيف استطعت الوصول وماحال ابن أختي... أجبته بليس لي علم كيف وصلت إلى هنا... وليس لي أخوة من الأساس... قال لها الآن فهمت كيف عرفتي ان الجنين ببطن والدتك بنت... قومي الآن فصلي واذكري الله كثيرا وكوني من الذاكرات ينفتح إليك أبوابا أخرى لا يوجد مفاتيح لها... وأجوبة لأسئلة لا علم لك بأجوبتها... قامت فتوضأت وصلت وذكرت الله كثيرا... ووجدت باب الغرفة يفتح عليها من جديد كانت والدتها قد قامت من فراشها وقالت لها هل بمقدرتك الذهاب معنا للطبيب للفحص... قالت لها بالطبع سأرتدى ملابسي على الفور.... خرجت صفوة بعد قليل فوجدت خالتها ووالدتها يجلسان في انتظارها أمام التلفاز المغلق... فقالت انا جاهزة...

وقفوا وهموا بالخروج فهرعت صفوة لغلق باب حجرتها وأخذ المفتاح معها ولا تدري أمها وخالتها ماذا تفعل ونظروا لبعض في استغراب...
خرجوا من باب العمارة فوجدت أبيها في سيارتهم ينتظرهم ركبوا السيارة وانطلقوا للعيادة... وصلوا وانتظروا دورهم في صمت لم يفتح أحد فمه بحرف واحد... أتي دور والدتها... نادت الممرضة... مدام امال الطبيب بانتظارك... دخلت صفوة وأبيها وقالت خالتها سأنتظركم هنا... بدأت الأم في التجهيز وكشفت عن بطنها وجاء الطبيب ووضع سائل سميك لونه أزرق ووضع السونار... وما ان مر دقيقة حتي تغيرت معالم وجهه...سألها الطبيب ألم تشعري بأعراض ألم في أسفل الظهر.. أجابت امال أحيانا ولكني اعتدت عليه واعتقدت انها.... فقاطعها الطبيب وقال يجب أن أعمل أشعة تلفزيونية أكثر دقة... سأله رؤوف ماذا يحدث... قال الطبيب لأمال انتظريني بالغرفة المقابلة وتجهزي سأوافيكِ بعد قليل.... دام السكوت عدة دقائق حتى عدلت من ملابسها وخرجت من الغرفة وقالت له صفوة ماذا يحدث؟؟...
أجابها هناك تضخم في بطن البنت التي بداخل رحمها...
قال رؤوف وما معنى ذلك؟؟...
قال أشك انه ورم وغالبا سنضطر لإزالته وبالتالي ننزل الجنين أو الانتظار لنرى ماذا سيحدث لحين الولادة ولكن في هذه الحالة ستكون الحالة غير مستقرة ومعدل حدوث الولادة المبكرة قائم بنسبة كبيرة....
قالت صفوة وتلك الأشعة الجديدة ماذا ستبين؟؟...
قال لها تفصيل ما بداخل بطن الجنين.... سنذهب لنرى....

خرجوا الثلاثة من الغرفة وتوجهوا إلى الغرفة المقابلة كانت أمال في انتظارهم وعلى وجهها خوف واستفهام بماذا أخبركما؟؟...

قال رؤوف سنتأكد من شيء وسنخبركِ لا تقلقي...

حاول الطبيب روية ما في بطنها ولكنه لم يصل لشيء...

قالت صفوة لأبيها هامسة... هذا الحمل كان توأمين وأحدهما ابتلع الأخر... قال لها كيف عرفتي قالت أتاني هاتف... أفاقا الاثنين على صوت كحة للطبيب ليسأله رؤوف حينها ماذا ترى؟... قال انها من الحالات النادرة جنين ببطن جنين... لم يفزع رؤوف ولكن نظر لصفوة بقلق وقال لها بدأت أخاف عليكِ الآن قالت له لا تخف الله يحميني...

قال الطبيب سأستشير عدة أطباء للجراحة والتوليد ونرى ما يمكن فعله الآن وسأقوم بالرد عليكم بعد قليل... أمهلاني بعض من الوقت... ووقف وخرج وتركهم ثلاثتهم في الغرفة محزونون...

قام رؤوف باحتضان امال التي ما إن دخلت في حضنه حتى انفجرت دموعها في النزول... أخذت صفوة تربط على كتفيها وتخبرها انها ستكون بخير.... قرعة على باب الغرفة تدخل رقية ليخبراها بما حدث ويجلسون في صمت لمدة نصف ساعة أو أكثر بقليل... حتى قرع الباب ويدخل الطبيب ويخبرهم انها ستتدخل عمليات ولكن بعد مرور تلات أشهر لإخراج الجنين من بطن البنت في محاولة للحفاظ عليها... فرحوا جميعا فهذا يعني انه مازال هناك أمل في نجاة الطفلة.... كتب الطبيب لها بعض الأدوية وأمرها بالراحة التامة فتعهد كلا منهم بفعل ذلك ورحلوا إلى المنزل.... ذهبت رقية لمنزلها... وما ان دخلت حتي وقعت على الأرض في وضع التشهد لتبكي كما لم تبكي من

قبل... قالت لنفسها أما زال الله لم يقبل توبتي وندمي وقام بكشف ستري وسري... ظلت تصرخ صرخات مكتومة وتقول يا الله ياولي المستضعفين إلى من تكلني إلى من لا يرحمني... من الذي ملكته أمري.... أعوذ بعظمتك من أن أذل أو أُذل... أو أضل أو أُضل... وأخذت تكررها حتى نامت بمكانها من شدة التعب

في منزل صفوة... جلست صفوة على السرير بجوار مرآتها وقالت لها لا أعلم كيف أتيت إلي كل تلك الرؤى... فقالت سأقوم لأصلي... وقفت على السجادة وما إن قالت الله أكبر حتى تذكرت كتابها ذو الجلدة البنية.... أكملت صلاتها وهمت بالبحث عنه حتى وجدته... لم تكن قد أكملت قراءة الكثير منه ...وقفت وقالت سأذهب لتصويره لأحتفظ بنسخة منه... ارتدت ملابسها ثانية وخرجت وقامت بما تريد ورجعت لغرفتها ثانية مسرعة وقفت أمام المرآة وأخذت بتكبير عينها فتحولت إلى ميناء كبير ورأت الغواصة الرمادية... أخذت بتكبيرها أكثر والبحث عن الملك بأريوس... حتى وجدته... تبسم إليها وقال لها أوفيتي بوعدك ما الإجابة لديكِ قالت له أولست تعلم؟؟ قال لها انا ملك ولست الإله... قد أعلم أشياء كثيرة نتيجة أشياء تدل عليها واستخدم بصيرتي وذكائي للربط بينها... قليلا ما تخيب وكثيرا ما تُصيب... هاتِ ماعِندكِ...

قالت أما إجابة الأول فأعتقد انه ذلك الكتاب البوابة... لم أكمله بعد ولكني أجزم انه السبب... والثاني جنين أختي ببطنها في. بطن أمي...

قال لها اذن هو في ظلمات ثلاث

سرحت صفوة قليلا وقالت نعم كما سيدنا يونس...

هل أوفيت بعهدي؟؟...
قال: نعم...
قالت وهل لي بالانصراف؟؟
قال لها وماذا يدور بخاطرك؟؟...
قالت له أحلل لساني... وأجبني عن سؤالي...
قال أي سؤال قالت ما حال المرأة المسلسلة التي رأيتها على سطح الماء؟... ما هو جُرمها ؟؟
قال لها ذاك حال روح من قامت برش السائل الأبيض والأصفر علي الخبز... خرجت عن طوعي ولم تعد لتوفي بعهدها فعذبت روحها وهي حية واتناوب علي تعذيبها بعد موتها لفحش فعلها... لا تنظري إليها... ولا يغرك سوء منظرها.... فذنبها لا يغتفر... ارحلي ولا ترجعي إلي ثانية وذاك عهدك الثاني لأبد الآبدين...
خرجت بسرعة وصارت تصغر الصورة بسرعة حتى عادت المرآة لشكلها الطبيعي... ووجدت عينها تنغلق بشدة من كثرة التعب... ألقت بجسدها على السرير... ودخلت في سبات عميق...
فوق سطح أحد الأبنية...
وجدت بطليموس ينتظرها... وقال لها لما تأخرتِ؟؟ انتظرك منذ الكثير....
قالت لما؟
قال لها ألا تريدي رؤية المزيد؟ ...
قالت نعم... ولكن قبل كل شيء تخبرني من انت؟... وماذا تريد؟.. ولماذا تريد أن تصحبني انا دونا عن أي شخص؟؟...

قال لها انتي حفيدة من قامت بشرب السحر... وماشربته جدتك جعل حارساً يحرس السحر... وحين قامت باستفراغه ضعفت قوة الحارس... وبدأ يترك الجسد ولكن قبل أن يتركه ترك عليه تعويذة... أن يكون النسل الثالث من جميع نسلها يرى حقيقة الأمور... وحسب استخدام التعويذة يكون المصير... أما الفوز والنجاة أو الخسارة وبيع الجسد والروح للحارس فيقوي من جديد

قالت ومن انت؟...

قال حارس ذاك الكتاب.... أريكي قبل ان تقرأي مخافة من اشتداد قوة حارس السحر فيأخذ روحك وتقف التعويذة عند نسلك وتتدمر عائلتك...

قالت وهل علمت جدتي بذلك؟؟...

قال نعم وقبل وفاتها حكت ماحدث لوالدك وصدقها... ونجت... فانا مساعدكِ للنجاة...

قالت انت إذن من الجان؟...

قال نعم ونوعي الجن الطائر...

قالت وهل لي برؤية المستقبل الصريح؟...

قال لها بحجم ما تريدين... ولكن عن مملكة ملك البحار بأريوس تبتعدين...

قالت هيا بنا.. انا مستعدة الآن للنجاة بحياتي وبحياة عائلتي... أرني ما تريد...

دخلت هالته من جديد... وصار يريها طبقات سبع من السحاب... ألوانها خلابة بدرجات متدرجة بين الأبيض والأزرق يأخذ العقول وقف فوق سابع طبقة سحاب لا يوجد أعلى منك... أخبرها بقدرتها على الوقوف بمفردها

أيضا كما وقفت على الماء... شعرت بختم عقدة لسانها تختفي.... ورأت على بُعد جناح طائر أزرق كبير... بجناحه عدة عيون... ولا تكاد ترى جسده من طول جناحه... وما إن همت بالاقتراب منه حتى رأت....

الفصل السادس

وقفت صفوة فوق سحابة... انغمر جزء من قدمها بداخلها.. أخذت تنظر حولها حتى رأت أمامها من بعيد جناح له عدة عيون... اقتربت أكثر فكأنها تخترق دخانا من حولها يحوم... لقد رأت طائرا أزرق كبير ...باسط جناحيه طولهما متصلين عشرون مترا أو يزيد... بوجهه منقار الصقر الأصفر العاجي وعينيه متسعتان وحادتان تنظران إلينا ...والعيون التي بجناحيه أيضا.. اقرأته منا السلام... رد بإيمائة رأسه قليلا للأمام...

قالت صفوة جئت من الأسفل أبحث عن أشياء لن يخبرني أحدا بها ولكن علي معرفتها...

أجابها ملك الطير: حارسك أمين... سمعته حسنة.. وقدومه يشرفنا ووجودك مرحب به إكراما له ولجدتك الحافظة للعهد...

شكره بطليموس... وقال له لما استدعيتنا؟؟...

قال بكتابك جلدتان... ان أمسكتهما مفتتحتان صارا طيرا له جناحان.. ما سيسقط منه احفظيه وما يطمس منه أظهريه ..قالت كيف.. قال لها ستكتشفين.. ولجنودي ستحتاجين... ليس لي بسلطان عليكي انتي أمة رب العالمين....عودي لكتابك وانا أراقبك... ووقت الحاجة ستجدينني فوقك أينما تنظرين....

خرجت صفوة وبطليموس وقالت له... أحتاج الآن إلى القراءة والتمعن قبل فتح الكتاب كطائر له جناحين... حتى أعلم الساقط والمطموس...

قال بطليموس فكرة جيدة... هيا بنا..
انطلقا حتى أعادها بيتها وتركها... فاستفاقت على نداء والدتها امال... سنذهب انا وخالتك للغورية لشراء بعض مستلزمات البيبي أتودين المجيء؟؟
قالت صفوة نعم ولكن لما لا تأجليها للغد؟....
قالت سأسال رقية وأرى هل هي منشغلة غدا أم لا؟ ...
خرجت امال من غرفة صفوة واتجهت للهاتف... وقامت صفوة توضأت ورجعت لغرفتها ارتدت إسدالها ووقفت على مصليتها وقالت اللهم هيئ لي من أمري رشدا... الله أكبر...
انتهت صفوة من صلاتها ووجدت أمها واقفة تخبرها بأن خالتها موافقة لجعلها غدا... سأذهب لأتسوق وسأعود قبل مجيء والدك وطعامك بالمطبخ اذا أردتي الأكل... شكرتها رقية وقالت لها تصحبك السلامة... خرجت وأغلقت الباب خلفها ...قامت صفوة وأحضرت الكتاب... وأخذت تقرأ... بسم الله الذي خلق جميع المخلوقات المتحركة والتي في سُبات.. بسم القدير القادر علي كل الأشياء المنفتحة منها والمنغلقات... بسم الله الحفيظ حافظ قارئ هذا الكتاب... بسم الله الظاهر يظهر ما فيه من حروف وتحركات.... بسم الله انطق ولا نطق لما بداخله بعد الآن... فلتقرأ صامتا مع تحركات اللسان... أو ينعقد لسانك لأخر الزمان... عهدا جديدا وشخصا جديدا بسلالة واحدة ومظلومة واحدة... استجمع روحك واقلب تلك الصفحة... الصفحة التالية....قوة الكون سبع...بحار ومحيطات...أنهار وشلالات....جبال وصخور....سماوات سبع ...وأراضي سبع... نفحات من نور

وأخرى من نار....طبقات فوق طبقات...هواء محمل بالطاقات...وأشخاص سخرهم الله لتشغيل القوى بعضها فوق بعض ..... بحور من ماء... بداخلها كائنات... معلوم القليل منها... ويسكن أقصاها الكثير.. لا يعلم مهيتهم إلا الله ومن سمح لهم بالاطلاع على بعض أسراره... تمعن... فالحروف إن تغيرت غيرت المراد... واذا عُدت لتقرأ ثانية تغير المنطوق بتغير التوقيت... اقرأه علي مرة واحدة ولا تخبر أحدا عما بداخله... فلن يظهر إلا للسلالة ولن يفهمه سوى المسئول عنه... ظلت صفوة تقرأ وتقرأ ولم تستفيق إلا على صوت والدتها تناديها لقد عُدت... ادعت النوم فلا يمكنها النطق... فأغلقت أمها الإضاءة وأغلقت الباب خلفها... همت صفوة بالاعتدال وفتحت الكتاب... وما إن فتحته حتى أنار نفسه إليها... وأكملت القراءة إلى أن أنهته عند قول آذان العشاء الله أكبر... من التعب لم تفكر في أي شيء سوى النوم والاستلقاء...

رأت بطليموس ينتظرها... بماذا تشعرين... قالت بأن حِملي كبير... وكاهلي قصير... ولا أعلم اذا كنت سأستطيع الصمود أم اني سأسقط وأضيع ويضيع أهلي وأحبتي... لا أعلم...انهمرت في البكاء الشديد وأخذت تردد يا الله ساعدني...لا تستبدلني ولكن استخدمني... فأنا أمتك ابنة عبدك وأمتك لا تُملك عليا من لا يرحمني ولا تتركني إلى شيء يضلني... فإنه لن يضل من واليت ولا يعلو من عاديت...

نظر بطليموس إليها وعيناه مليئة بالدموع... قال لها إن شاء الله ستنجين... استعيني بالله لتهزمي عدوك... استفيقِ الآن.... أفاقت صفوة ووجهها يملئوه الدموع على صوت خالتها رقية تناديها... انهضي ياكسولة... فتحت الستائر والتفتت إليها لترى دموعها... صفوة ماذا بكِ؟

قالت لا شيء فقط أشعر ب.... لا أعرف... لا أستطيع التعبير...
قالت لها رقية لا تقلقي كل شيء بيد الله خيره وشره... نحن فقط أداة...
قالت صفوة معكِ حق...
قالت لها هيا للإفطار.. أخبرتني امال انكِ لم تأكلي شيئاً منذ الأمس وكلما دخلت عليكِ وجدتك نائمة
قالت لها الآن استيقظت... سأصلي مافاتني وألحق بكم على الإفطار ....
قالت رقية هل ستأتين معنا؟؟
قالت إن شاء الله
صلت وارتدت ثيابها وخرجت إليهم وفطروا سويا وخرجوا من المنزل ركبوا السيارة وقاد رؤوف بهما إلى الغورية.....وركن بالخارج فشوارعها ضيقة ومحلاتها ملتصقة... دخلوا بثالث محل وجدوا صاحبته تناديهم تعالوا لدي أفضل الأشياء... وأظهرت لهم شراب كالشبكة افتح درجات الأزرق وعليه زهور وفراشات تجعله مبهر للغاية... ولكنه لسن ثلاث سنوات... أعجبوا ثلاثتهم به وأصروا على أخذه وتركوها وذهبوا لباقي المحلات... رقية وامال يسيران في الأمام... وصفوة في الخلف تشاهد البضائع والمحلات... وفجأة نظرت للأرض وجدت ورقة شكلها يبدو كعملة الربع جنية وبعدها بخطوات سلسلة ذهبية عقدتها ملتوية ومسطحة ومنقطعة وبها دلاية مربعة مفرغة كأنها سقطت من أحدهم... التقطتها ونظرت يمينا ويسارا فرأت فردتان للحلق وإلى الأمام كتاب صغير من الدهب يدخل في الدلاية المربعة وعلي وجهه نقوش غامضة بكتابة ليست معلومة... مشت خطوات أخرى وجدت دلاية بها دائرات صغيرة مفرغة... وإلى الأمام صحون صغيرة

بيضاء منقوش عليها باللون الأزرق الغامق ...لا يكاد يكون قطرها ال سنتيميتران.... وضعت الأشياء بجيبها وأسرعت لتنادي أمها وخالتها انظروا ماذا وجدت...

قالوا لها بإندهاش ماهذا؟؟... هل هو دهب حقيقي أم مجرد اكسسوار؟؟... قالت لا أعلم...

قالوا لها تعالي لندخل محل الصائغ هذا...

فتحوا الباب الزجاجى فإذا برجل يقف خلف فترينة من الزجاج تحتوي على أشكال من الذهب اللامع المضيء مع إضاءة المحل الكثيرة.....دخلوا عليه وتحدثت رقية السلام عليكم... كنت أود أن أعلم هل هذه الحلي دهب أم لا... فحص الصائغ الأشياء وقال لها السلسلة ذهب خالص مطعمة بذهب أحمر والفاصلات من الألماس... والدلاية من الذهب الأحمر والصحون من العاج... قال لهم أتبيعونني إياهم؟؟

قالت صفوة لا... انا أريدهم.. وأخذت أشيائها وهموا بالخروج.... وما إن خرجت حتى سمعوا بالمكان صوت قوي جهور لشخص يضحك ضحكة شريرة سمعها الجميع ولا أحد. يعلم مكان صاحبها... علمت صفوة أن ما وجدت ليست مجوهرات... انما هي علامات... ولكنها لا تدل إلا على الفخ السيء...

الفصل السابع

سمع الجميع الضحكة الشريرة العالية ...وتلقت الجميع حولهم ينظرون لعلهم يفهموا مايدور حولهم...

قالت امال لرقية هيا بنا من هنا لم أستطع الوقوف ..وفجأة صرخت امال وهي ممسكة بأسفل بطنها .اااه لم أعد أحتمل اطلبي لي رؤوف على الفور...

قالت لها رقية ماذا بكي وصرخت على صفوة اسنديها معي انها تنزف بشدة ...اجتمع حولها الكثير من النساء اللاتي حاولن التخفيف عنها رغم علمهم ان هذا يدل على الاجهاض ....خرجت امال من الغورية مستندة على رقية وصفوة اللتين أركباها في السيارة بجانب رؤوف الذي ما إن ركبوا جميعا حتى انطلق مسرعا إلى المستشفى

في المستشفى يقف رؤوف أمام الباب صارخا انجدونا زوجتي حامل وتنزف بشدة... هرول إليها اثنان من التمريض ممسكان بكرسي متحرك أسود مكتوب على مسنده اسم المشفى... أجلسوها على الكرسي ودخلوا وأخبروا الطوارئ أحضروا طبيب النساء والتوليد على الفور .. حضر الطبيب لتخبره الممرضات حولها بوضعها وانها تعاني من نزيف حاد لا يتوقف ... قال لهم أسرعوا بتحضير غرفة العمليات على الفور.. بكت امال فهي تعلم ماهي مقبلة عليه الآن ...يقبل جبينها رؤوف ويحتضن رأسها لتسقط دموعه فوقها ...لا تحزني انتي الأهم لدي بإذن الله ستخرجين بخير ... قاطعه الطبيب لقد حان الوقت الرجاء أن تنهي ملء الأوراق والإمضاء على هذا التعهد

مسرعا فالوقت ليس بصالحها ...مضى رؤوف على الفور وقامت الممرضات بأخذ امال بسريرها إلى حجرة العمليات وأغلقوا الباب ... بكي رؤوف بشدة وصفوة ورقية يمسكان بكتفيه ادعوا الله أن تخرج هي لنا بخير العوض عند الله...حمد الله ومسح دموعه ودخل الغرفة توضأ وخرج سأل التمريض على القبلة ووقف يصلي...رقية تنظر للنافذة وتبكي وتدعو الله ليس لي سواها بعد موت أمي وأبي احفظها لى ياالله انت ولي المستضعفين .....صفوة تجلس بشرود تشعر أن مايدور حولها أكبر منها .هي بالطبع تحب والدتها ولكن لماذا كل ذاك الصمت ...حتى البكاء لا أعرف الطريق إليه ...لماذا أصبحت هكذا؟ اللهم أعوذ بك من ضيق النفس وقسوة القلب اللهم أعني وأعد لي أمي فلا أملك في دنيتي سواها هي وأبي ....استفاق الجميع من مناجاته علي صوت انفتاح باب غرفة العمليات فهرعوا جميعا للخارج فرأوها قد خرجت وهي في حالة تخدير شبه كلية ودموعها تتساقط ألما على جنبها ...

سأل رؤوف الطبيب أخبرني كيف حالها؟ ..

قال الطبيب هي الآن بخير اضطررنا لإخراج الجنين لشدة النزف بداخله ولكن حين أوشك على الخروج انقلب الرحم وحاولنا مرارا اعداله لكنه للأسف الشديد انفتح بالنزيف الشديد الذي أجبرنا على استئصاله ..لا تحزن فقد كان الحل الوحيد لتحيا ....

قال رؤوف الحمد لله انها بخير.... اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلف علينا بخير منها ...

.قال لهم ستدخل العناية المركزة يومان للإطمئنان على استقرار حالتها ..

قال رؤوف افعل ماتجده مناسبا لها ...شكرا لك... ولكن متى يمكننا رؤيتها ؟؟

قال بعد قليل ستبدأ بالإفاقة ...بإمكانكم الدخول لرؤيتها ولكن لا تنتظروا كثيرا واتركوها لتستريح:

قال له رؤوف كما تريد...

دخلوا إليها وجدوها تفيق قليلا وتغفوا قليلا تسأل على صفوة لتخبرها انا هنا أمي الحبيبة ...جاءت واحدة من التمريض لتخبر روؤف ان الطبيب يريدك بغرفة الأطباء قال لها سأتي على الفور ..قَبل رأس أمال وخرج للطبيب

قال له الطبيب: هذا هو الجنين مُخلق كما ترى وللأسف لابد ان يدفن ماذا تحب أن يُدفن بمدفن المشفى أم يٌدفن بمعرفتكم؟؟..

صمت قليلا وقال سأقوم بدفنها بمقابرنا ..

قال له كما تحب ...

وأعطاها له ملفوفة بقماش أبيض ...وربت على كتفه وقال له لا تحزن الأهم انها بخير ...

مسح رؤوف دموعه وقال الحمد لله

خرج من الغرفة وقرع باب الغرفة ففتحت له صفوة الباب وظل بالخارج فخرجت له صفوة وقلقت رقية فخرجت ورائهما ..ماذا يحدث؟

قال لهما لابد أن أسافر الآن لأقوم بدفنها..

قالت له صفوة سأتي معك لن أتركك تقود بمفردك بتلك الحالة...

قالت رقية وانا سأظل مع امال تلك الليلة لا تقلقا عليها ...وسأكون هنا حين تعودان من الدفن غدا ...الساعة الآن الثامنة والنصف ليلا ..لكي تصل ثلاث ساعات ولا يمكنك الدفن ليلا ...ادفن باكرا وعد قبل أن تفيق أمال من المسكنات ...وانا سأظل اتواصل معكم على الهاتف ...

قال لها هذا هو الحل ...سأنزل بمنزل والدتي هذا اليوم ...
وجد رؤوف يد تربت على كتفيه ورقيه تنظر بعينها خلفه ...وجد سليم زوج رقية الذي يعمل بمشروع الشركة الوطنية للتنقيب عن الغاز بسوهاج قد أتي هو ابنه الذي ماعلما حتى أتيا ..وأصرا على السفر معه ولكن رؤوف أصر هو الأخر بألا يجهد نفسه خاصة انه أتى من سفر طويل فأصر ابنه مازن على السفر معهما ...مازن في السابعة والعشرون من عمره شاب طويل البنية رفيع إلى حد ما أبيض قليلا وشعره بني غامق شبيه برجولة ابيه ووقفته وتصرفاته ولكن بملامح والدته وحنيتها ... تخرج من كلية التجارة وعمل بعدة وظائف حتي استقر علي عمل مندوب مبيعات لشركة كبري بالمحافظات ....اخبرهما بحزن اخاه مراد اللذي يؤدي خدمته في الجيش وانه لا يستطيع النزول كما تعلمان ...هز رؤوف رأسه بحزن وقال شكرا لوقفكم معنا ..سننطلق الان هيا يا صفوة قالت سأطمئن علي امي واحضر حقيبتي واوافيك انت ومازن بالاسفل ...
دخلت صفوة وقبلت جبين والدتها التي شعرت بها ففتحت عينها وقالت لها اين رؤوف؟؟ قالت لها مع الطبيب يطمئن علي حالك...لقد مات خوفا عليكي ..لم اكن اعلم انه يحبك بهذا القدر ...
فقالت رقية حقا والله لم يترك سجادة الصلاة لحظة وانتي بالداخل وجلس يدعوا ان يحفظك له ...ابتسمت أمال ابتسامة صغيرة بدموع في عينها ... وقبلت صفوة رأسها وقالت سننتظر بالخارج الطبيب امر بذلك ...هزت امال راسها بالموافقة واغمضت عينها ...خرجت رقية وصفوة للخارج معا لتجد زوجها سليم ينتظرهما ...وقالت سأذهب الان وقبلت خالتها ونزلت لاباها....

في السيارة ..يجلس مازن بجوار رؤوف في الامام وصفوة خلف والدها وانطلقا...في الطريق تذكرت صفوة ما وجدت في الغورية وحرصت الا تظهرهم الان مخافة حدوث شيء سئ أخر..فتحت النافذة قليلا لتستنشق هواء الحقول في الليل الهادئ مع صفير الضفادع يتخلله كلما اقتربت أكثر للقرية....

سأل مازن رؤوف كاسرا الصمت كم بقي على الوصول ياعمي ؟..

قال نصف الساعة إن شاء الله..

قال له أتحب أن أقود بدلا منك ؟؟...

قال له لا أريد اتعابك...

لا يوجد تعب ....رد مازن..

فتوقف على جانب الطريق ونزل ليخرج كلا منهما مكان الأخر ويقود مازن ...في بداية القرية..بيت رمادي وكأنه احترق من قبل ولكن هناك نور يخرج منه يدل على أنه مازال به أناس...قالت صفوة لأبيها مر فوق الخمسة عشر عاما على قدومي هنا ..ولكني أشعر أني كأني كنت هنا بالأمس.. قال لها منذ وفاة جدك لم أتي إلى هنا فجميع إخوتي رحلوا بعد ..من سافر ومن هاجر ومن ابتعد بلا سبب وانقطعت أخباره...لم يعد لي إلا انتي ووالدتك... فقاطعهم مازن ونحن ياعمي ألسنا أولادك؟ربَت رؤوف على كتفه وقال بل أكثر..وصلوا إلى المنزل لا تستطيع الرؤية بقوة فالظلام دامس وجميع الأنوار مغلقة ..أنار مازن كشاف هاتفه هو وصفوة لأبيها وهو يفتح باب المنزل الكبير الملئ بالتراب ...دخلا البيت وما إن أنار المفتاح الرئيسي حتى رأت صفوة .....

منزل ال الصفوة... بعد وفاة والدة رؤوف تم غلق المنزل ورحل مافيه من البشر... ولكن كطبيعة الأشياء.. حين يفرغ الإناء من الإمتلاء يحل بدلا منه الهواء.... وبهذا البيت حل بدلا من البشر... الـــ.....

الفصل الثامن

أنار رؤوف مفتاح إضاءة البيت الرئيسي ..وما إن أضاءه حتى رأت صفوة شخص يقف خلف ستارة النافذة المقابلة من بعيد ..ضحك بإبتسامة مخيفة فظهرت أسنانه السوداء ...صرخت صفوة فانغلقت الأضواء فجأة ..رجع لها رؤوف من الداخل ماذا بك؟

قالت رأيت شيء هناك ...

أتى مازن مسرعا من الخارج فقد أتى بلفة الرضيعة من السيارة ..قال ماذا يحدث؟..

أُنير البيت فجأة وبمفرده ..نظرت صفوة لنفس الركن لم تجد شيئا ...أخذت تبحث بعينها في أرجاء المنزل عنه قبل أن تتحرك خطوة من مكانها ...ولكنها لم تجد شيئا..اقتربت للنافذة التي كان يقف عندها ذاك الشخص فلمحت أثار رماد محترق ...استغربت من وجود شيئا كهذا ولا تعلم من أين أتى ... استفاقت على مازن وأبيها يقفون خلفها ليخبراها هل انتي بخير؟؟؟

قالت نعم ..انا فقط مجهدة قليلا ...

قال أباها سنبيت في الغرف السفلية بجوار بعضنا انا ومازن بتلك الغرفة فيها سريران ...وانتي في الغرفة المجاورة ...نستريح قليلا وبعد الفجر اتصل بالتربي ليفتح المدفن وننهي عملنا ونعود باكرا ...

أومأ الجميع برأسهم دليلا الموافقة وذهب كلا منهم إلى الغرفة المحددة وأخذ رؤوف معه لغرفته جثمان الطفلة ....

أنارت صفوة مفتاح إضاءة الغرفة فظهرت حجرة واسعة ..بها سرير حديد قديم له أربعة أعمدة تصله بالسقف وموازي له كنبة ليس لها مسند والجميع مغطى بأغطية بيضاء عليها طبقة من الغبار ..نزعت الأغطية وهمت بالجلوس فسمعت صوت يقول لها سأخرج لا تصرخي ...تلفتت وراءها فرأت بطليموس أمامها حقيقة ...زُهلت للحظة وقالت له هل غفوت انا ؟؟

قال لا ...لقد أتيتي إلى بيت الخادم بقدمك ولا أستطيع حمايتك الآن من بعيد سأظل بجانبك أظهر وأختفي حتى اطمئن عليك..

قالت له شكرا لك ولكني منهكة فعليا وأريد النوم...

قال لها لا تعيريني اهتمام ...

قالت بسم الله وضعت جنبي وبك ارفعه ..وغطت في نوم عميق...

استفاقت الجميع على خبط شديد على باب المنزل الكبير...قام مازن ليفتح وجد رجل يرتدي جلباب أصفر متسخ يدخل طرفه في بنطاله الأسود القصير ببشرته الخمرية وعيناه الواسعة...تكلم بلهجته القروية وقال :سي الأستاذ رؤوف موجود؟ أجابه مازن نعم من انت ؟

قوله انا محفوظ التربي ..فتحت التربة والدنيا جاهزة وتحت أمره..

أجابه مازن سأخبره ونلحق بك بعد قليل ...

أغلق الباب خلفه وعاد لزوج خالته الذي خرج لتوه من الحمام وبدأ يتجهز ..وقام ينادي على صفوة التي أخبرته انها استيقظت وتجهز...خرجوا جميعا من المنزل بعد ربع ساعة واتجهوا إلى المقابر من وسط الحقول ...كانت الشمس بدأت تشتد فالساعة تخطت الثامنة بقليل..شعرت صفوة بهواء

بارد بإحدى أذنيها استغربته ونظرت بجانبها لتفاجأ بنفس الشخص الذي شاهدته بجانب النافذة ينظر إليها بغل وحقد شديدين...ووجدت خلفه بطليموس يبتسم لها ويشير إليها بأن تكمل طريقها ولا تنظر إليه حتى تنهي مراسم الدفن...فامتثلت لأمره ومضت في طريقها وأسرعت لتسير بجانب مازن الذي شعر بقلقها وسألها هل انتي بخير؟

أجابت نعم ..

قال لها ماذا بك؟؟ .. أمسكت صفوة بذراع مازن من مرفقه تجره منه فلنسرع قليلا... استغرب مازن وهـَم بالنظر للخلف فقالت لا تنظر.. فنظر مازن خاطفا نظرة فسقط على وجهه بالتراب ...قام ونفض ملابسه وقالت صفوة أبي ينتظرنا فلنسرع قليلا ...وصلوا للمقابر ووجدوا محفوظ أمامهم ومعه صبيان صغيران يساعدانه ..أخذ منهم الجثمان وبدأ يقوم بالمراسم ...ونزل محفوظ القبر لمحت صفوة بين طوبتين شيء يلمع فركزت بعينها أكثر فتتبعها مازن ينظر إلى ماذا تنظر فرأى تلك اللمعة الذهبية أيضا ..

قال لها اذهبي وأحضريها قبل أن يُغلق القبر ...

قالت له ماذا تقصد؟

قال أرى ما رأيتي انه حقيقي شيء يلمع...

اقتربت صفوة أربع خطوات ومدت يدها أمسكت بها وحاولت إخراجها فلم تستطع فسألها أباها ماذا تفعلين قالت ثانية واحدة...فقام مازن بمساعدتها وشدها بشكل أقوى فخرجت بين يديه حلقة كبيرة ذهبية بها حلقات كثيرة صغيرة مفرغة من الداخل بشكل يجعل له حز كأنه يحوي شيئا بداخله ولكنه مفقود..

قال مازن ماهذا؟
قالت أرني هكذا... وأمسكها والدها وقال لا أعلم ...تذكرت صفوة الصحون الصغير والبيضاء ذات النقوش الزرقاء وقالت لعلني أعلم ما يوجد بالداخل ...فأخذتها من أبيها وقالت فلنخرج من هنا الآن ...
انطلقا وبالطريق أتى رؤوف مكالمة من رقية ..أين انتم؟
قال انتهينا من الدفن وسنركب السيارة بعد قليل ...كيف حال أمال؟؟
قالت بخير ولكنها تسأل عنكم ...أعطت رقية الهاتف لأمال التي ما إن سمعت صوته حتى قالت له أفتقدك بشدة وبكت..
قال لها يفصلني عنكي الطريق فقط وسأعود لأحتضنك بداخل قلبي ولن أتركك ماحييت..
تحولت الدموع بعينها لحنين وقالت قُد بهدوء وعد لي سالما ...
قال لها أُحبك وسأظل ..
أغلق الهاتف ليجد مازن وصفوة ينظران إليه ويبتسمان فقال لهما لا يخرج المرأة من ألالامها سوى التفهم والمحبة والأمان ...إن استطعت تقديمهم لها فأنت ملكتها للأبد ..فاحتضنته صفوة فقبل رأسها وقال الله يحفظك لي انتي ووالدتك ... عادوا للمنزل وأعادوا فرش الأغطية البيضاء فوق الأثاث ...اطمئن رؤوف ومازن على توصيلات المياة والنور وأن كل شيء على مايرام ...ركبا السيارة وقال مازن سأقود انا وما إن حاول تشغيل السيارة حتى وجد....

الفصل التاسع

ركب الجميع السيارة...وما إن بدأ مازن يدير السيارة حتى اكتشف عطلها ..حاول مرارا وتكرارا فلم تدر ..نزل مازن يتفقد السيارة فتح الكابود ...فوجد البطارية غير موجودة ..ذهب لزوج خالته يخبره باختفاء البطارية فلفت نظره قطع بإطارات السيارة...أخذ يدور حولها يتفقد باقي الإطارات فوجدهم جميعا بهم قطع ..نزل رؤوف يرى مايحدث فتعجب مما رأى .. فقال رؤوف أقرب ميكانيكي سيارات يبعد عن القرية بخمسة كيلومترات ..ادخل صفوة المنزل وسأتحدث إلى الحاج سمير جارنا في المنزل المجاور يرسل معنا أحد بجراره نحضر بطارية وإطارات ونعود....

قال له مازن ابقي انت مع صفوة وانا سأذهب مع الحاج سمير

قال له رؤوف لن تعرف أحد هنا لابد من ذهابي ...

قال له إذن سأتي معك ...

قال له لابأس ...

دخلت صفوة المنزل من جديد ....

قال لها بطليموس ماذا ستفعلين الآن؟

قالت أشعر أن هناك شيء مدبر يحدث...

قال بطليموس هو ذالك بالفعل ...

جلست صفوة بالخارج تفكر... ما المكيدة التي يجب أن أبتعد عنها... نظرت لبطليموس وقالت انت تعرف ماذا ينتظرنا؟؟

قال لها معرفتي مقرونة بالماضي... وجزء من المستقبل بالتكهن... يمكن تغيره بتغير تصرفات وأنماط العباد... كل ماهناك أني أبقي دائما معكِ على استعداد... انتظري لحظة.... صمت بطليموس ورفع عينه للأعلى يمينا وكأنه يستمع لشخص يخبره شيئاً مهما... عقد حاجبيه وزاد غضب وجهه... ارتاح وجهه قليلا وأماء برأسه كأنه يقوم بأداء التحية والتقدير لشخص ذو منصب... انتظرت صفوة قليلا إلى أن عاد إليها... وأخبرها... حارس السحر واتباعه يتلقون الأوامر بأذيتك لنزولك إلى أرضهم على حد زعمهم دون استئذان... أريد أن أخبرك أن هذا هو السبب الواهن.. والسبب الحقيقي هو بحثهم عن الكتاب وكسر الحماية عن عائلتك لتعود نفوذهم ويستردوا مجدهم بنجاحهم بمهمتهم...

قالت صفوة ذاك ما أغضبك... ما الذي أراح قلبك؟؟ وإلى من رددت التحية؟؟ قال لها: يعجبني استنباطك لما يدور حولك... الملك بأريوس بعث لي بأحد جنوده... تتذكري الشاب الوسيم ذو البدلة السوداء الجالس خلف المكتب...

قالت نعم...

قال انه الرسول من الملك بأريوس جاء برسالة تفيد انه علي استعداد ليمدنا بالألاف من الجنود اذا لزم الأمر... فأومأت برأسي تعبيرا على تقديري لفحوى رسالته ...يبدو ان الملك بأريوس علم بما يدور هنا ويتابع تطور الأحداث عن قرب...

قالت صفوة هو عبد من عباد الله وجند من جنوده التي لا نراها.... الله معنا وهو ناصرنا...

قال بطليموس... هناك دخان في خلف المنزل هيا لنرى ماذا هناك...
أسرعت صفوة لترى ماذا بالخلف وجدت نار كأنها جهنم على الأرض عالية وممتد لهيبها الأحمر البرتقالي إلى مسافة تصل لثلاثة أمتار... أسرع أهل القرية في المجيء ومحاولة اطفاؤها... استهلكت تلك النيران الكثير والكثير من الماء والرمال والمجهود... وكلما حاولوا اطفاءها اشتعلت من جديد... مرت ساعة على اندلاعها... وسيارات الإطفاء قادمة من بعيد... ابتعد الجميع وأفسحوا الطريق لسيارات الإطفاء والدفاع المدني وسيارة إسعاف مجهزة استعدادا لمواجهة هذا الحريق الكبير... بعد مرور نصف ساعة أخرى انطفأت النار... أصبح الجو ملئ بالدخان يرتفع عاليا في السماء ليعطي منظراً وكأن القرية بأكملها موضوعة تحت سحابة رمادية اللون تكاد تكون شديدة السواد... الوجوه مكتئبة فبيت جارة جدتها الخلفية قد احترق بالنار عن أخره... أصبح رمادا بما تحمله الكلمة من معنى فقد ساعد على نشوب الحريق القش والتبن بداخل البيت والحطب المستخدم في الخبز والتدفئة وخشب بناء للدور الثالث لولدها الأصغر الذي سيتزوج بعد عام ونصف العام.... قالت صفوة لنفسها... كل حادث مقرون بفجاعة هو ابتلاء من الله... ينقيك من ذنب لو تركك عليه لندمت بعد موتك ولن تستطيع أن تعود لتصلح ندمك... اللهم لك الحمد على ما أعطيت وما أخذت... مشت صفوة قليلا فسمعت آيات من القرآن الكريم تتلى بداخل البيت المجاور لها ركزت قليلا فسمعت» واللذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب... أو كظلمات في بحر لُجي يغشاه

موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نور فما له من نور» قالت صفوة انها سورة النور.....أخذت تردد الآية مرارا وتكرار اللذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة... الكفر ليس فقط أن تشرك بالله... الكفر أن تطيع عدوك وعدو الله... تذكرت منزل المرأة التي قامت بوضع السحر... فظلت تسير بنفس الاتجاه في البلدة حسب ما تتذكر... فوجدت البيت عرفته من النخل المحيط به أربع نخلات يخرجن من أركان المنزل كأنهم يستندون عليه بدلا من الأعمدة... وقفت بالخارج تنظر وتراقب من بعيد... خرجت سيدة في الأربعين من عمرها تضع وشاحا أسود فوق رأسها المغطي بحجاب صغير أسفل منه ملئ بالورود... وترتدي جلباب أسود به من الأسفل دوران بشيء من الثنيات تجعله يبدو كثياب الفلاحات اللتي ارتدينها قديما ...نظرت المرأة إليها وقالت إلى ما تنظرين؟ من انتِ وماذا تريدين؟ انتِ لستِ من هنا هيئتك تدل انك من البندر.... ألا تتكلمين؟؟ قالت صفوة.... انا كنت هناك عند الحريق وأردت الابتعاد لأستنشق بعد الهواء وأتفقد المكان... سأرحل الآن... أعتذر إن ضايقتك...

قالت المرأة في استغراب ابنة من انتِ من الراحلين؟

قالت بنت رؤوف...

قالت المرأة رؤوف ابن مِسَلَّمة؟

قالت صفوة نعم...

ظهر على وجه المرأة الغضب والتعثر لثواني وتمالكت نفسها سريعا... واقتربت من صفوة وقالت أهلا وسهلا... جدتك كانت صديقة أمي ...

ادعت صفوة عدم معرفتها وقالت حقا... وكيف حالها؟
قالت المرأة توفت من فترة الله رحمها...
قالت صفوة لماذا أكانت مريضة؟
قالت المرأة نعم جاءها شلل منعها من الحركة والكلام المفهوم بوضوح لسنوات...ولكن قبل أن تموت أخبرتني أن أبحث عن أي شخص من أعمامك أو أباكِ لتتحدث إليهم ولكني لم استطع الوصول لأحد منهم فالجميع رحلوا بالخارج وأبيكِ انقطعت أخباره منذ وفاة والده....
قالت صفوة البقاء لله... أستأذنك بالرحيل يجب أن أعود فأبي أعتقد انه قد عاد... قالت لا لابد أن تشربي شيئاً فأنت الغالية بنت الغاليين...
قالت صفوة اعتبري انني شربت بالفعل ولكن يجب أن أعود حقا...
قالت ان كان ولابُد فخذي علبة البلح هذا انه من ثمار نخل دارنا كما ترين... لن تذوقي بجماله أبدا...
قالت صفوة شكرا لكِ..
قالت المرأة إقرئي أباكِ مني السلام... قولي له...ثريا بنت روحية ترسل لك السلام وتقول لك مهما اختفيت فاللقاء حتمي... احتمي كما شئت فلمدافنك ستعود...
قالت صفوة سأخبره شكرا على الترحيب...
قالت ثريا ده واجبنا ياسليلة الأشراف...
تركتها صفوة وذهبت التفتت خلفها لتجد المرأة مازالت تراقبها ولكن الإبتسامة المزيفة اختفت من وجهها وتركتها تنظر لها ودخلت منزلها... أسرعت صفوة للعودة لمنزل جدتها... وجدت بالطريق ورقة مكتوب عليها

احرق ما تجهل تعلم ما تريد... قالت صفوة لا أفهم... سارت قليلا فرأت شجرة جذورها ظاهرة علي وجه الأرض ضخمة وكبيرة وقديمة... يقف أسفل منها رجل يرتدي جلباب وضهره محني يدل من بعيد على كبر عمره... ينادي اشربي الماء يرويكي... ماء وتمر يشفيكِ ...توقفت صفوة قبل أن تصل إليه بخطوتين فقد فطنت لكلمته من أين علم اني أمسك بيدي تمر؟ وقبل أن تتحرك لتهرب استدار الرجل وانعدلت قامته ليستقيم كولد في ريعان شبابه... وما ان التفت إليها حتى رأت وجه بشري يتأكل ليتحول لوجه بغيض... يقترب منها ويقول انتِ بأرضي وستفعلين ما أريد... وقفت صفوة فجأة لترى خلفه معركة حقيقية تراها بعينها وناس حولها يمرون بجانبها يحدقون بها إلى ماذا تنظر فعلمت انها وحدها من ترى تلك المعركة الكبيرة... سيوف وأجساد تتساقط ولمحت بطليموس يحارب بشراسة والذي نظر إليها ليجدها وجها لوجه أمام حارس السحر... حاول الوصول إليها سريعا ولكن لم يستطع وفجأة ظهرت طيور كبيرة الحجم تضرب بجناحها الواحد الأرض تقتل تحته العشرات... التفت حارس السحر للخلف رأى جنوده في عداد الموتى والمعركة تكاد تُحسم للأخيار.... صرخ صرخة مدوية فاهتزت الأرض حولهم وخرج منها لهيب من ألسنة النار.... وصل بطليموس لصفوة ومعه بعض جنوده حولها يحموها فنظرت للأعلى وجدت ملك الطير بنفسه يبسط جناحيه ويقبضه فتتولد رياح شديدة تغلق ثغرات اللهب المتصاعدة من الأرض... وجنوده من الطير يكملون مع جنود الملك بأريوس الحرب الشرسة.... قال بطليموس لصفوة اجمعي أجزاء السلسلة التي بجيبك فقد حان وقتها... أفرغت صفوة مابجيبها وجلست على الأرض

تحاول تركيب الأجزاء... الكتيب الصغير بداخل التجويف المربع... الصحون البيضاء المنقوشة بالرسومات الزرقاء بالدائرة الكبيرة الذهبية المحاطة بالدوائر الصغيرة... ما إن وضعتها حتى التحموا ببعضهم ....

قال رسول الملك بأريوس لبطليموس يخبرك الملك أن تخبرها ان تضع القلادة بسلسلتها ودلايتها المربعة بداخل الدائرة الكبرى... وتقوم بسد الفراغات بخليط من الماء والتراب والهواء فتلك قوى سخرها الله معا للهلاك... فعلت بالفعل أخذت القليل من تراب الأرض وأخذت رقعة من الهواء بيدها كما كانت تفعل بالحلم مع بطليموس... وبحثت حولها فلم تجد ماء فقامت بفتح عينها واسعا بيدها فنزل منها خيط متصل من ماء شفاف... أخذت ما تريد منه وأغلقت عينها فانسحب الماء... قامت بخلط المكونات الثلاث وملأت الفراغ... قالت لبطليموس لا تعمل والحرب تشتد...

ناداها ملك الطير انتي حاملة الكتاب... ما قرأتيه حقيقة... ولا حق أكثر من ذاك الوقت لتنطقي به.... استعيني بالله يسري على لسانك منه المناسب لغلق الثغرات وفتح البركات....

أنزلت صفوة رأسها وأغمضت عيناه وقالت اللهم لا معين غيرك ولا مغيث إلا إياك... أعنا بمنطوق اسمك على من عبد سواك....تغير صوت صفوة لصوت جهوري عالي وأخذت الدائرة بيدها ورددت... باسم الله أبدأ وبه وبجنوده استعن.... السلام من الله والرحمة والمغفرة لمن اتبع الهدى.... أغلق أبواب الجحيم بأمر الله وأقطع دابر من تولى عن ذكر ربنا... مقطوعون مقطوعون... في الأرض هائمون... ومن الرحمة هاربون.... سلطانكم من نار... ويطفئ النار الماء والرمل والهواء والثلاثة مجتمعون.....

انتم الأخسرون... وعليكم الويل ليوم تجمعون.... أراكم تصرخون وتتلاشون وتسجدون رغما من الألم ولا تؤمنون... بسم الله أقف وانتم تسقطون.... بسم الله أنجو وانتم مُغرقون... بسم الله تدور الدوائر وتختلط الألوان بالصحون... والعناصر المهلكة مجتمعون.... بسم الله أقيدكم بحبل من آيات الله تظلون لها تقرأون..... وقفت صفوة عند قولها بسم الله أقف ووجدت الحارس للسحر وجنوده يصرخون ويتخذون وضع السجود ألما و رؤوسهم محنية على الأرض وكأن أقدام أحد على رأسهم تكون...

قال لها بطليموس جنودنا سيتولون الباقي... وفري طاقتك الآن فوجهكِ أصبح شاحبا الكتاب كما يطلعكِ على أسراره يأخذ من طاقتك ويقوي....

شعرت صفوة بالإنهاك... وسمعت ملك الطير يخبرها... ما زلتي لم تفعلي أمري... أسرعي فحصن ما قرأتي ليس بدائم... هناك دوما وقت تنكسر به القلائد والأصفاد... اذهبي الآن للمنزل... واحفري حفرة وألقي بها التمرات... فهي ليست حقيقة بل نواتها شياطين وأسحار....

حفرت صفوة حفرة ووضعت التمر بها وردمت عليها وقامت لتقف فلم تستطع فجاءها طير يحمل بين منقاره زجاجة صغيرة جدا وألقاها بحجرها فأشار إليها بطليموس بشربها... فتحتها فقالت له انه لبن...

قال لها بطليموس هو كذلك لتستردي وعيك....

شربت وارتوت ووقفت لتعود لبيتها وما إن وصلت حتى وجدت أباها ومازن قد عادوا وأسرعوا للجري نحوها... أين كنتي وماذا حدث معكِ ولما ملابسك متسخة بالطين هكذا ولما وجهك شاحب إلى ذاك الحد؟؟...

شعرت صفوة بالإعياء وأوشكت على السقوط فأمسك بها مازن مسرعا

وحملها وأركبها السيارة في الخلف... فنامت طوال الطريق ولم تفق إلا على صوت مازن يجلس بجوارها في سريرها وحولها أمها وأبيها وخالتها رقية ينظرون إليها في قلق شديد....

قال مازن فتحت عيناها... تنفس الجميع الصعداء وقالوا لها حمدا لله على سلامتك...

قالت أين انا وكم من الوقت انا هكذا؟؟...

قال مازن منذ الأمس عدنا من القرية إلى البيت... وأبي أحضر أمي وخالتي من المشفى وتركناكِ نائمة... فقد بدا عليكِ التعب الشديد...

قالت لهم حقا فأنا لم أشعر بشيء منذ الأمس من شدة التعب...

قال رؤوف ارتاحي قليلا الآن وعند استيقاظك ستخبرينني بكل ما حدث وبمن التقيتي...

قالت حسنا.... نظرت إلى أمها وقالت كيف حالك الآن حبيبتى؟؟

قالت أمال انا بخير أباكِ وخالتكِ أحسنا الاهتمام بي...ونظرت لرؤوف الجالس أمامها وقالت شكرا على كل شيء...

أمسك رؤوف بيدها وقبلها وربط بيده على يدها ونظر بعينها وقال لها أنا أعلم أني أحبك... ولكن لم أكن أعلم أنكي أصبحتي تجري بشرياني مجري دمي مني إلا حين مرضتي.... حفظك الله لي انتِ وابنتي ..

تبسم الجميع ودعوا لهم بالصحة والسعادة معا ونظر مازن لصفوة بإبتسامة كبيرة جعلت صفوة تشعر بالخجل واحمرت وجنتيها فقال لها مازن محظوظة انتي إن تربيتي على يد رجل كعمي رؤوف وامرأة كخالتي أمال...

قالت صفوة نعم انا حقا محظوظة بهم...
قامت رقية وقالت هيا اتركوهم جميعا ليرتاحوا وهيا يا مازن نعود لبيتنا لنستريح قليلا وأرى أباك فلم أجلس معه منذ عودته من السفر...
قال لها هيا بنا....
خرجت أمال تودع رقية وذهبت لغرفتها تستريح... وتبعها رؤوف بعد أن قَبل رأس ابنته وتركها ترتاح....
في فجر اليوم التالي استيقظت صفوة وخرجت للمرحاض وقامت بالاغتسال وتوضأت ووقفت لتصلي وما إن انتهت حتى وجدت أبيها يقول لها حرما... فردت صفوة بجمعا... فقبلها أباها على جبينها...
قال لها احكي لي ما حدث...
أخذت تحكي له صفوة جميع ما حدث... أصابه الخوف عليها والخوف من رسالة ثريا بنت روحية.... فقالت له صفوة الله خير حافظا.... مرت أربع ساعات وصفوة تتحدث مع أبيها وفجأة.....

الفصل العاشر

رن الهاتف المحمول بيد صفوة إذ برقم غريب لا تسجله... فتحت الخط...
ألو.. ألو... امرأة باكية تتحدث...
صفوة... ألو...
المرأة.. ده تليفون صفوة رؤوف؟
صفوة نعم انا صفوة.. من معي؟؟...
انا والدة صديقتكِ دينا حازم...
كيف حال حضرتك ياطنط...
الحمد لله...
ما بكِ لما تبكين؟؟ ...
دينا خرجت صباح الاثنين تشتري ملابس من الزمالك وبطريق رجوعها وجدت دكتور عيون في عمارة على الكورنيش قالتلي ستذهب للكشف... قلت لها انتظريني أتي معك قالت لي هأخد مقاسات النضارة وأعود نذهب سوياً لعملها... قفلت ودخلت العمارة واختفت من وقتها إلى اليوم الأربعاء.. أبلغت الشرطة اليوم يكون مر على اختفائها تلات أيام ... واليوم غفوت لثانية رأيتها تخبرني برسالة لم أفهمها... أرسلتها لك وانا أكلمك...
أخبريني بمحتواها ياطنط اقريها ردت صفوة.....
ردت والدتها... شخص لديه السر... والسر مقرون بخبايا الأمور... لن تظهر إلا بعلامات... والعلامات لا تظهر إلا للصفوة ...

ردت صفوة... ولما انا؟؟

قالت لها لا أعلم ولكن تلك هي الرسالة. فكرت كثيرا ولم أصل لشيء... اذا كان اسمك بها فهل هو صدفة؟؟ اعذريني ولكني أحتاج إليكِ....

انا أتية على الفور.... قالت لآبيها ما حدث فقالت له انا ذاهبة لمنزل دينا أفهم ما يمكنني المساعدة به...

يرن جرس الباب فتفتح صفوة فإذا بمازن أمامها كيف حالك؟

بخير وانت؟؟...

الحمدلله...

قالت أستأذنك..

إلى أين؟؟...

صديقتي...

ما بها؟؟

اختفت...

سأتي معك... خاااااالتي سأذهب مع صفوة... قالها بصوت عالي

قالت الله معكم....

دخلت صفوة منزل دينا... القرآن الكريم يقرأ والبيت كأنه بحالة حداد... أبيها وأمها وأختها الصغيرة جالسون صامتون وبأعينهم الدموع...

قالت صفوة السلام عليكم...

رد الجميع وعليكم السلام ووقفوا جميعا...

صفوة: ماذا حدث؟؟... أخبروني بالتفصيل...

جلس مازن يستمع بإندهاش لا يعلم لما تنخطف فتاة في العشرينات ببرج كبير مثل هذا ولا تفتش جميع الشقق العيادات والشركات وحتى السكنية منها والمخازن....

مازن: ما عنوان تلك العمارة؟....

الأب: العمارة على مطلع كوبري ابو الفدا من ناحية الزمالك....

مازن: اسم الدكتور؟؟...

الأب: لا أعرف ولكن الشرطة قالت هناك ثلاث عيادات عيون بتلك البناية.... انطلقا مازن وصفوة وأصر والد دينا على الذهاب معهم.... ركبوا بسيارة مازن مازن يقود وصفوة بجواره... والاستاذ حازم بالخلف يبدو عليه القلق الشديد والارتباك..... نظرت صفوة للسماء... فهي صافية وبها بعض السُحب البيضاء التي تزيدها جمالا... وفجأة ظهرت أمامها دينا تسير فوق كوبري أسفله مجرى نهر النيل وتنظر من فوقه وبعينها دموع وترفع رأسها للسماء وتقول اللهي انت أعلم بما في قلبي فارضني وارض عني... تنهدت دينا وأكملت طريقها لتجد سُلم ينزل منه الناس لأسفل وما ان تنزل منه حتى ترى حديقة كبيرة على يدك اليمنى تكاد تشعر انها جزء من الجنة بجمالها.... ظلت دينا تسير وتنظر حتي دخل بعينها قشة أو ما شابه فأخذت تفركها بيدها فزادت احمرارا... وسقطت بعض الدموع... فلم تستطع النظر بشكل سليم... هدأت عينها قليلا ولكن قالت لنفسها حقا أريد أن أذهب لطبيب عيون فمازلت أريد تغيير النظارة.... رأت صفوة العمارة بعين دينا... عبرت دينا الطريق ودخلت إلى مدخل العمارة لتنظر إلى الحائط تبحث في كل اللوحات الإعلانية عن طبيب عيون.... أفاقت صفوة على نداء مازن... وصلنا ياصفوة ماذا بكِ؟؟

قالت لا شيء انا بخير

نزل الجميع من السيارة ودخلوا مدخلها.... شعرت صفوة بالألفة للمكان فقد كانت هنا منذ قليل.... نظرت حولها فرأت العمارة بها أربع مداخل وأربع سلالم... و٦ أسانسير... يحتوي الدور الواحد على ١٢ شقة.... مساحة العمارة مهولة... كبيرة جدا... معظمها شركات... والحركة بها منتظمة ولا يوجد ما يجعلك تشك بها ولو للحظات... أما العيادات فبعضها فارغ من الناس فالساعة الآن الثانية... العيادة الأولى للعيون... صالة كبيرة بها كراسي انتظار ومكتب لفتاة صغيرة لم تكمل الثامنة عشر من عمرها.... السلام عليكم..

وعليكم السلام...

الطبيب موجود...

لا انه يأتي في الساعة السابعة...

ومتى ينتهي؟؟..

في الحادية عشر...

هل له مواعيد نهارية؟؟...

قالت لا جميع أيام الأسبوع تلك هي مواعيدنا... عدا الخميس والجمعة أجازة العيادة مغلقة....

نظر مازن لصفوة... ليست تلك العيادة....

صفوة نعم....

أخبرتني والدة دينا أن أخر مكالمة منها كانت الثالثة والنصف عصرا... نبحث عن عيادة تفتح بهذا التوقيت أو بعده بقليل وجلست تنتظر....

صعدوا للدور التاسع... المصعد الكهربائي قديم قليلا ولكنه مخيف أيضا هذا شعور صفوة... العيادة بالشقة الجانبية على يمين المصعد... العيادة مغلقة.... عيادة الأنف والأذن بجانبها هي نسأل بها... السلام عليكم...

رد رجل في الأربعين من عمره وعليكم السلام.... كشف أم استشارة؟....

رد مازن: لا نحن نسأل عن عيادة العيون التي بجوارك... متى يأتي الطبيب؟؟

قال الرجل في الثامنة مساءً...

ومتى ينتهي؟؟...

الثانية عشر...

هل جميع أيام الأسبوع نفس المعاد؟...

لا الاثنين والثلاثاء من الساعة الحادية عشر صباحا إلى الثانية ظهرا.... ثم بنفس اليوم المعاد المسائي كما هو... والجمعة والسبت اجازة....

شكره مازن وخرج الثلاثة من العيادة... وقال والدها... يبدوا انها ليست تلك... فلو حضرت دينا لهنا لوجدتها مغلقة فقد أتت بعد ما انتهى كشف الطبيب في الفترة الصباحية....

قالت صفوة نعم... ولو كانت انتظرته بالخارج في أي مقهى لكان أخر ارسال بالخارج... ولكن أخر ارسال التقط كان هنا بتلك البناية....

قال مازن هيا للدور التاسع عشر أخر عيادة بالأعلى...

دخلوا المصعد الكهربائي مجددا وضغط مازن على الدور التاسع عشر.... خرجوا من المصعد فإذا بالعيادة على يسار المصعد ومليئة بالناس... أناس يأتون من الأقاليم لدلالة ملابسهم على ذلك وأناس أخرين متعبون للغاية أرهقتهم الحياة... وأخرون بضمادات فوق أعينهم.... همس مازن لصفوة

تلك هي غايتنا وأمسك بيد صفوة وقال لها ابقي بجانبي... اندهشت صفوة من مسكة يده ولكنها تغاضت لخوفها من المجهول... ما إن دخلوا على الشاب الجالس على المكتب ونظر إليهم كأنه يعرف لما أتوا ...وقف وقال لهم دقيقة واحدة قبل أن يسمع منهم أي حرف... ودخل بغرفة بالداخل وهو ينظر إليهم وهو يغلق الباب ...

قالت صفوة هل انا فقط من شعرت انه ارتبك لمجيئنا؟

قال لها والد دينا.. هو يعرفني فقد رأني في قسم الشرطة أثناء التحقيق....

قالت صفوة غريبة...

خرج بعد قليل يتحدث بشيء من التكبر ... نعم ماذا هناك؟؟... رد مازن اسأل عن كشف باسم دينا حازم يوم الاثنين... هل كتبت اسمها هنا؟؟....

قال الشاب دون أن ينظر... لا لم نرى واحدة بذاك الاسم...

قال له مازن ابحث قليلا...

قال له الشرطة سألتني وبحثت بنفسها ولم تجد شيئا...

قال مازن: نريد مقابلة الطبيب....

قال الشاب هو مشغول الآن....

قال مازن سننتظره...

قال الشاب سيتأخر الطبيب فلديه مواعيد كثيرة اليوم ....

قالوا سننتظره .....

وجلسوا أمام المكتب الذي يجلس عليه الشاب مباشرة...شعر مازن بارتباكه كلما نظر إليه...قال لصفوة هناك شيء مريب في ذاك الشخص قالت صفوة انا أشعر بذلك أيضا...

مرت نصف ساعة وهم جالسون أمامه ينظرون إليه... وقام لإدخال ثلاث حالات بذاك الوقت وهما ينظران إليه.. وهو يحاول ألا يعيرهما اهتمام... ووقف فجأة ودخل لغرفة الطبيب وخرج يخبرهم الطبيب بانتظاركم....

دخلوا على الطبيب.... شاب مفتون العضلات طويل ذو بشرة سمراء يبدوا على مشارف الأربعين أو قبلها بسنتين... السلام عليكم... وعليكم السلام

قالت صفوة نريد أن نعرف منك هل قمت بالكشف على واحدة بيضاء رفيعة محجبة وترتدي نظارة اسمها دينا حازم....

قال الطبيب.... إذا أخبرتكم الحقيقة هل سترحلون؟؟...

قالوا نعم...

قال الطبيب: نعم... دخلت علي هي وكشف أخر لبنت صغيرة كشفت عليهم معا لضيق الوقت لدي فكان لدي موعد جراحة عاجلة أيضا... أخبرتني بشكواها... ورأيت التهاب بعينها... وكتبت لها مرهم وقطرات للعين...

قال بطليموس في أذن صفوة اسأليه من أي باب خرجت؟؟

قالت صفوة ومن أي باب خرجت؟

فاستغرب الطبيب والجميع فالغرفة لا يوجد بها سوى باب واحد يدخل منه الناس ويخرجون منذ مجيئهم...

قال لها ماذا تقصدين ؟؟ لا يوجد مخرج أخر لتلك الغرفة...

قالت انت تعلم انها لم تخرج من ذاك الباب.... نحن لسنا شرطة... أخبرنا لا نريد سوى دينا ولن ترانا للأبد...

تردد قليلا ثم قال ..من هنا... دخل علي أثناء الكشف الحارس للعقار وسألته لما أتيت من هنا فقال له أتيت من الشارع الخلفي فصعدت من السلم

الخلفي بدلا من أن أسير كل هذا مجددا... فسألتني ماذا أركب للتحرير...
أجبتها هناك سيارات تاكسي تذهب مباشرة لهناك....
أخبرها بطليموس... اسأليه ما هما أرقامهما....
قالت صفوة ما هما أرقامهما...
قال الطبيب: لا أعلم فلم أنزل معها... قالت ولكني أعلم انك أعطيتها رقمين لسيارتين تبحث عنهم وتركب احداها.....
قال لها لم يحدث
قالت بل حدث... اندهش مازن وقال لها ماذا تقولين؟؟...
قالت انتظر... ستخبرنا أم نذهب للشرطة تغلق لك تلك العيادة؟؟
قال لها ما لدي قد قلته لكم....
قامت صفوة وأخذت ورقتين من الورق الأصفر المربع الصغير من أمامه فقال لها الطبيب: ماذا تفعلين وحاول مسك يدها فمسك مازن يده بقوة وقال له كيف تجرؤ... استشاط الطبيب غضبا وقال لهم اخرجوا من هنا.... فقام الجميع وهموا بالخروج من الباب الذي دخلوا منه ...
فقالت صفوة بل من هذا... وفتحت المكتبة وانفتح باب منها... وخرجوا... أحضرت قلما من حقيبتها ووضعت الورقة على الحائط للظهر وقامت بعمل خطوط عرضية لإظهار الأرقام ...قلبت الورقة فظهر لها رقمان ...
الأول ١٤٧٦ ر ج....والثاني ١٣٦٧ و د
قالت صفوة لمازن تلك أرقام السيارتين...
قال مازن هذا الطبيب مريب هناك شيء خلفه...هيا بنا نرى ماذا يحدث...
نزلوا دورين من السلالم الحلزونية وكلما نزلوا أكثر يشعرون بأنهم يرجعون لنفس المكان ...

قال بطليموس... لقد أدخلكم متاهة...
قالت صفوة إذن دينا معنا فيها...
قال اذهبي لليمين....
قالت للجميع تعالوا ندخل يمينا لنمر بتلك الأروقة لنرى ماذا سنرى.... ذهبوا خلفها فوجدوا سيدة تقوم بنشر الغسيل ورجل ذو جلباب يمر بجوارهم... هموا يسألوه كيف يخرجون من هنا قال لهم انا لا أعلم ولا أستطيع الخروج...
سألت صفوة السيدة التي تنشر الغسيل فهي بالتأكيد قاطنة بتلك البناية... كيف نخرج من هنا؟...
قالت ولم تنظر إليهم... بأن تعبدي من يجعلك تخرجين...
قالت صفوة انا أمة رب العالمين...
قالتاذن ستظلين هنا لأمد الأمدين
قالت صفوة وهل انتي عبدتيه؟
قالت مكثت بخاطري... ورأتها صفوة أمام عينيها وهي ترتدي ثوب أخضر لامع وشعرها مهندم جميل وتضع لون أخضر فوق عينها ولون أحمر فوق شفاتها تقبل يد بها خاتم فضة ذو فص أسود كبير... وتضحك بوجه ثم جلست على رجله وأخذت تقبل رقبته وشعره وخنجر موضوع بقلبه تقبله وتقبل ما حول الخنجر الفضي ذو النقوش البارزة حتى أمسكت بوجهه أمام وجهها فإذا هو الطبيب ولكن لون بؤبؤ عينه أحمر ..انتفضت صفوة فانغلقت الرؤية ...
قالت صفوة ولما تفعلين؟؟

قالت المرأة: احفظ شبابي وأتحكم به فلماذا أفعل ما يريد غيري... انا وحدي من أستطيع التحكم به فسكيني بقلبه أنزعه متى أشاء...
قال مازن لهم لا أفهم منها شيء...
قالت انا أفهم الآن..
قال بطليموس لصفوة... اهربي فجسد ذاك الطبيب مستحوذ عليه... والخادم ليس بخادم...
قالت صفوة عرفت... رأيته معها بعينه ليس على صورته... هي عاشقته من جنسه ولم تتركه بمهمته وأتت معه...
قال مازن ماذا سنفعل؟
قالت سنحكم النار التي تلين الحديد.. إن تحكمنا بها... أصبح الحديد ملك لنا ينفذ ما نريد....
قالت صفوة بصوت عالي.... انظري إلي... لم تنظر المرأة... قالت أمرك بإسم الله الممسك بزمام الأمور وعواقبها... التفتت المرأة مجبرة وعينها متحجرة بلون أحمر يخيف الناظرين.....
قال مازن لوالد دينا: ما هذا قال لا أعرف...
قالت صفوة... بسم الله المحيي المميت... الوارث لما بقي... والمُوجد لما اختفي... بسم الله اتحكم بروحك إلى ما بقي... بسم الله على من اتقى... صرخت صرخة مدوية فوجدوا الطبيب والخادم أمامهم.... وانكشف الخنجر في صدره وكأنه قد ضُرب به الآن.... خرج من الجسد فسقط الطبيب على الأرض مغشيا عليه وتحدث الحارس للسحر: اتركي ما بيدكِ...
قالت اترك ما بيدك...

قال لقد عبدتني وصارت روحها ملكي....
قالت أشك فإيمانها أقوى مني...
قال لها اتركيها أمرك...
قالت يا سلالة الأخسرين أتأمر الفائزين بعبادة رب العالمين.. اترك ما بيدك وإلا أحرقتها بحق قول بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا عليا واتوني مسلمين... صرخ فخرج له من النساء من حولهم الكثير والكثير... جميعهم في الجمال متفاوتين.... بحثوا فيهم فوجدوا دينا جالسة بينهم مغمضة العينين باكية تناجي ربها.... فتحت عينها لترى والدها فاحتضنته بشدة وبكت.....
قالت صفوة اهدم تلك المتاهة...
قال بطليموس جنودي وجدوا الطريق...
قالت ليس بكافي يهدمها أمامي أحمي من يأتي خلفي.... هدمها أمامها فقالت صفوة... بسم الله تُهدم وبسم الله لا تعلو بعد الآن أبدا
صرخ بشدة.... تركت له امرأته وخرجت ومعها جميع النساء اللاتي امتلكهن...
قال لها موعدي معك لم ينتهي إلى الآن.... تركته ولم تعره اهتمام وخرجت فقال لها مازن: هل ما رأيت حقيقي؟؟
قالت صفوة وماذا ترى؟
قال مازن: لماذا أعدتي له معشوقته؟...
قالت صفوة: ليس لي سُلطان عليها نفذ أمري ووصلت لغايتي فلماذا أزيد عداوتي بقتل من لن ينفعني أو يضرني؟

قال والد دينا:... لك في رقبتي معروف لن أنساه ليوم الدين.... احتضنتها دينا وقالت لها كنت أعلم انك ستأتين....

قالت صفوة لها :انتي أختي ألا ترين...

ركب الجميع السيارة وذهبوا إلى المنزل وما إن دخل مازن وصفوة منزل صفوة حتى رأوا.....

الفصل الحادي عشر

دخلا مازن وصفوة منزل صفوة وما إن دخلا حتى فوجئوا بأمال ورقية ورؤف. يجلسون على الأريكة المجاورة لجهاز التلفاز والجميع ينظر للأرض وأيديهم فوق رؤوسهم ...وباقي الأثاث ملقى على الأرض بأوضاع مختلفة مقلوبا رأسا على عقب... لا يوجد شيء معتدل سوى الأريكة الجالسون فوقها والتلفاز المجاور لها.... صرخت صفوة ماذا يحدث هنا...

قال مازن هل الجميع بخير...

قال رؤوف لله الحمد.....

أعادت صفوة السؤال ماذا حدث؟؟

قال رؤوف لا نعلم ما يحدث... كنا نجلس انا ورقية في الصالة وأمال بالمطبخ تصنع عصير لنا ونتحدث جميعا بصوت عالي ليسمع بعضنا الأخر... كنت أقص عليهم بعض النكات وفجأة اهتز أثاث المنزل... ظننا في البداية أن زلزالاً ضرب المنطقة بأكملها... وما ان اتجهت إلى النافذة ونظرت منها حتى رأيت الحياة طبيعية بالأسفل....الجميع هادئون وطبيعيون... فعلمت أن مايحدث يحّدث لنا فقط...نظرت للداخل مرة أخرى.... فإذا بجميع الأثاث يتطاير والبراويز المعلقة تتساقط والنجف يتأرجح وحبيبات كريستالاته تتساقط من شدة حركته... وفجأة انكسر باب غرفتك وانفتح للخلف فسقط كاملا خارجا من مفصلاته مش شدة القوة....

قاطعته أمال قائلة... كانت بغرفتك إعصار بشكل دائري كأنه يريد تكسير كل شيء...

قالت صفوة أو بمعنى أدق يبحث عن شيءٌ...

قال رؤوف هو هكذا بالفعل... لم يستغرق الكثير من الوقت ولكن قضى على اتزان بيتنا في دقائق معدودة..... دخلت صفوة مطمئنة تنظر إلى غرفتها وما ان دخلت خطوتين حتى وجدت نفسها واقفة بقدمها فوق باب غرفتها....

قال مازن... الراحة في عينك كأنك متأكدة أن ما كان يحدث للبحث عن الشيء لم يجدوه...

ابتسمت صفوة له وزاحت بنظرها لأبيها بنفس البسمة على وجهها وقالت نعم ....قال لها مازن... هيا لنعيد ترتيب البيت معا فلم يعد بمقدور والدتك ووالدتي فعل كل ذلك....ربط مازن على كتف رقية تخفيفا عليها من هول ما حدث.

قالت رقية انا أنظر فقط للمنظر وأتحسر على ماجرى...

قال لها مازن... ما حدث قد حدث لن نقف كثيرا نشاهد ونتحسر فلنبدأ بالعمل فورا لنشعر بتعب العمل أفضل من أن نحمل ألم خسارة الأثاث وهم بالتعديل... قال رؤوف معك حق... قام الجميع وظلوا يجمعون القطع ويعيدون ترتيب السليم منها... ويخرجوا المكسور منها أمام باب الشقة... أمال قامت بصنع الغذاء رغم حركتها البطيئة فما زالت لم تتعافى بالكامل بعد... ورقية تقوم بالتلميع والفرش خلف مازن وصفوة اللذان كانا يقومان بمسح الأرضيات وتركيب الساقط من الكريستالات وتعليق البراويز والصور... وأما رؤوف فقد كان يجلس بجانب الباب وبيده مطرقة وبجواره

كيس أسود به أنواع مختلفة من المسامير يحاول تصليح المنضدة المكسورة وتثبيت أرجل كرسي انشرخت أثر السقوط... في محاولة منه لتقليل حجم الخسارة وثمن المشتريات للأشياء التي تحتاج التغير....الجميع يعمل ويحاول مازن ورؤوف مداعبة الجميع للتخفيف من رهبة الموقف وألم العمل..... تخلل بينها لحظات ود بين أمال ورؤوف الذي كان يحاول أن يشعرها بحبه وبأنه مازال بجوارها فتبتسم فيقول لها احمد ربي على أن تلك البسمة التي على شفتيكِ هنا لتنير لي حياتي...فتحمر وجنتي أمال فيقول لها ما زلتي كما انتي حين قابلتك لأول مرة كلما غازلتك تنكسفين...قالت أمال كنت أهاب اليوم الذي تشغلك دوامة الحياة عني فتنسى وجودي ويسود الصمت بيننا ويبطل مفعول ارتوائي بسحر كلماتك التي مازالت ترويني رغم كبر سني... ليقطعها رؤوف مسرعا من الذي يجرؤ على قول اننا كبرنا سوى عجائز القلوب ...ليضحك الجميع وينظر مازن لصفوة التي كانت تبتسم بحب وهي تسمع تلك الكلمات من والدها لتفيق على نظرة مازن لها فتتلعثم وتعود لعملها... تتبع مازن صفوة بعينيه طوال العمل ...ثم اقترب منها قائلا: هل تعبتي؟ لتجيب صفوة قليلا ولكن مازال البيت يحتاج الكثير...

قال لها مازن اذن استريحي قليلا وسأكمل انا عنكِ ...

قالت صفوة وهي تحاول ان تخفي ضحكتها الخجولة لا بأس سأكمل قليلا بعد ونستريح جميعا...

قال مازن لصفوة...تبدين رائعة حتى وانتي مرهقة...ربط رؤوف على كتف مازن فانتفض مازن وابتسم بخجل ونظر للأسفل فقطع رؤوف لحظة خجله وقال له انت تحت نظري فلا تزيد المعاكسة مع ابنتي ...

قال مازن انا لم أقل شيئاً... فضحك رؤوف وقال لن أنتظرك لتقول ...عيناك وتلعثمك فضحنا إياك ...فنظر مازن لأسفل ضاحكا بخجل قال له رؤوف أحضر لنا أكواب العصير من الداخل فخالتك تنادي... ...ذهب مازن وهو يومئ برأسه للأسفل...

فذهب رؤوف لصفوة التي كانت تتلعثم خجلا فقال لها ماذا بكِ؟

فقالت صفوة بخجل شديد لا شيء انا أنظف ..

فقال لها رؤوف وانا هنا أنتظرك وأنتظر مشاعرك لتتحدث ....فتبسمت صفوة في خجل لا يوجد شيء...

قال رؤوف وهو يقبل رأسها انا هنا إن وجد وقبل أن يوجد أيضا ...

قبلته صفوة وقالت أدامك الله نعمة بحياتي .....أفاقوا على مازن يقف بصنية فوقها بضع أكواب من العصير فأخذ رؤوف كوبه وعاد لعمله ووقف مازن وصفوة يشربان العصير وينظر كلا منهما للأخر..ويبتسمان....انتهيا من الشُرب وعادا لتكملة عملهم..... في الليل كانت الشقة قد عادت مثل هيئتها السابقة تقريبا... وجلس الجميع في غرفة المعيشة يتناولون الطعام اللذي أعدته أمال... أخذ الجميع ينظرون لبعضهم وفجأة انطلق الجميع في الضحك

وقال مازن أدام الله علينا تلك الضحكة.. أمّن الجميع خلفه...

قال مازن لوالدته رقية هيا بنا لنذهب لبيتنا لنستريح.... غدا نأتيهم بإذن الله..

خرج مازن ورقية ودخلت أمال غرفتها لتستريح فقال لها رؤوف لا تنامي انتظريني سأتي إليكِ لأعطيكِ الدواء ...

قالت له أمال: حسنا سأقوم بملأ الحقنة وأنتظرك...
نظرت صفوة لآبيها وقالت : يبدو على أمي التعب
قال فعلا ...ما مرت به ليس بهين... أسوأ ما في الحلم التعلق به وجعل كل التفاصيل المحيطة تتجهز لحدوث حلمك... تجدي جميع ما يدور حولك يهيئ إليكِ أن مشاعرك صحيحة ورؤيتك واضحة وأن طريقك ممهد وقصير... وحين نتعسر نكتشف أن كل ما كان يدور بداخلنا ولايزال هو فقط قدرنا المقدر بفعل خالقنا... مهما اختلف عقلك في الاختيار ستقومين بذاك الاختيار المكتوب بصفيحتك من قبل ولادتك... انتي مسيرة بفعل التخيير لتُحاسبي على اختيارك... قالت صفوة أعلم انك تعلم عما كانوا يبحثون قال نعم واعلم انهم سيعودون... حافظي على الكتاب والمخطوط فبختفائه تختفي حياتنا ونصبح معلقين... قالت سأقوم الآن لأستريح..
قال رؤوف وانا سأذهب لوالدتك..
ابتسمت فقبل رأسها وذهب كلا منه لغرفته
دخل رؤوف الغرفة فوجد أمال جالسة على طرف السرير بعينها تلك النظرة الشاردة فجلس بجوارها رؤوف وقال لها انا أشعر بكِ ...اذا أردتِ البكاء بداخلي فهيا لتفعلين... نظرت إليه أمال بعد أن رفعت يدها لتحاول الامساك بتلك القطرة التي سقطت عنوة من دموعها وقالت فقط أشعر بضيق أعتذر منك...
قال لها رؤوف هذه غرفتك وهذا قلبك وتلك عينك وانا زوجك جميع من بالغرفة هنا ملكك افعلي ما شئت بالجميع ولن يسعنا سوى البهجة والسرور للمس يداكِ لأي شيء تملكين... ابتسمت امال وأضيء وجهها من

جديد... وقال لها قبل كل شيء أعطيني تلك الحقنة أعطيكِ إياها ثم نجلس لأخبركِ عما رأيت اليوم من ابنتكِ...

قالت أمال ماذا حدث؟

قال رؤوف هناك قصة حب تبدأ شرارتها بالاشتعال....

ابتسمت أمال له وقالت يبدو انك تجيد الاهتمام والتركيز مع الجميع....

قال ضاحكا مع من أحب فقط وغمز بعينه إليها فضحكت بخجل

في الغرفة المجاورة جلست صفوة على طرف السرير وتقول لنفسها علي الآن القيام بما ينبغي فليس لدي الكثير من الوقت... قامت صفوة ووقفت أمام المرأة وقامت بتكبير عينها فاتسعت رأت مياه بيضاء صافية وكأنما هي ساقطة من شلال بعينها..... قامت بالدخول لتلك المياة المتساقطة وقامت بإزاحتها بيديها الاثنتين وكأنما تزيح ستارة فانكشف كوخ صغير دخلته لتجد الكتاب الذي خبئته بيداها... أخذته وأخذت بتصغير النوافذ حتى انغلقت جميعا وأخرجت الكتاب ورجعت فجلست بمكانها فوق السرير... أخذت طرفي غلاف الكتاب وفردتهما منبسطين كأنهما جناحان طير كبير... قامت بهزه فتساقطت حروف مضيئة زرقاء وبيضاء وخضراء وحروف أخرى مظلمة.... وتساقطت دوائر صغيرة بنية ومفتاح قديم ومشعل صغير جدا ...نظرت صفوة لتلك الأشياء وأخذت تفكر ما تلك الحروف وما دلالتها فأفاقت على محاولة بطليموس ألا يُخِيفها....

الفصل الثاني عشر

أفاقت صفوة على صوت بطليموس يخبرها انه بحاجة للذهاب للإطمئنان على أوضاع قبيلته... ولكن قبل أن أذهب يجب علي أن أخبرك بأنك يجب عليك الذهاب للمقابر التي تلي مسجد السيدة نفيسة رضي الله عنها...

قالت صفوة : لماذا؟

قال بطليموس: هناك شيء يجب عليك اكتشافه بمفردك

صفوة: ألن تأتي معي؟

بطليموس: سأتيكِ بالوقت المناسب لا تقلقي

صفوة غدا سأذهب بإذن الله

بطليموس احفظي الكتاب بمكان معزول وخذي معكِ ما سقط منه... فتلك رموز فك اللغز

صفوة : سأنام الآن فأنا منهكة من التعب

وقفت صفوة ونظرت بالمرآة فوجدت جزء أحمر بداخل العين فقالت لنفسها ذاك من تأثير الارهاق والتعب... أخذت تركز به وجدت خيوط تخرج من داخل العين من الجزء الأحمر الداخلي أخذت بتكبيره بمرآتها حتى رأت مجرى من حمم لبركان يسري ...أخذت تبحث عن بدايته فوجدت فوهته يملؤها الغبار الأسود الكثيف يتصاعد ليصل لعنان السماء... والسحب رمادية وكأنها ستمطر سواد.... حاولت الابتعاد فعينيها بدأت تؤلمها بشدة أخذت تنظر إلى تلك الشعيرات الدموية الصغيرة والمتوسطة والتي هي

مجري للبركان فوجدتها جميعها تتلاقى في حفرة عميقة جداً وبالقرب منها مقبرة بها اشارة هنا يرقد الدمام صاحب الزمام... حاولت البحث عن أشياء أخرى ولكنها لم تستطع ان ترى فأغلقت عينها لتسقط دموعا سوداء منها لتهم بمسحها وفتح عينها ثانية ومحاولة الوصول للبحر الأبيض ولكن ما ظهر بعينها هو بحر حالك السواد شديد الملوحة والثبات لا يوجد به موج أو حتى حركة أخذت تفتح بداخله أبواب وأبواب حتى رأت بأسفله صدفة كبيرة فتحتها فإذا بها تحتوي على لؤلؤة تلمع لتضيئ لها عتمتها وضعت الكتاب داخل الصدفة فانغلقت عليه فأغلقت عينها وذهبت لسريرها لترتمي عليه وتنام من شدة التعب

في الصباح أفاق الجميع بحوالي العاشرة صباحاً ودخل رؤوف لصفوة ليوقظها وجلس بجوارها وقَبَّل رأسها ففتحت عينها لأبيها وابتسمت ..

قال رؤوف : كيف كانت نومتك؟

قالت صفوة لم أنم منذ فترة طويلة هكذا

رؤوف : ما ورائك اليوم؟

صفوة: سأذهب لمسجد السيدة نفيسة أريد أن أصلي هناك العصر ولكني سأذهب باكرا

رؤوف : كنت أود المجيئ معكِ لأوصلك ولكني سأذهب مع والدتك للطبيب فلدينا موعد متابعة معه

صفوة : أتحتاجني معك؟

رؤوف : لا يا حبيبتي... ان انتهينا مبكرأ سأحاول أن أخرج والدتك لتسير قليلا

صفوة : لا تشغل نفسك بي اخرجا واستمتعا
قبل رؤوف جبينها وتركها لتفيق وفتحت العلبة التي بجانب سريرها تطمئن على وجود الأشياء.. ألقت نظرة وهمت لتتجهز لتجد رسالة من مازن على هاتفها المحمول... صباح الخير كيف حالك اليوم هل لديكِ شيء اليوم تفعلينه؟ كتبت صفوة الرد سريعا نعم سأذهب لمسجد السيدة نفيسة... وتركت الهاتف وذهبت لتكمل لباسها
جاءها الرد : انا أنتظرك بالأسفل لن أتركِ تذهبين بمفردك
ابتسمت صفوة واحمرت وجنتيها خجلا فدخلت والدتها عليها لتخبرها برحيلهم فوجدتها بهذا الوضع فقالت لها ما بك؟
صفوة : لا شيء
أمال بابتسامة ناعمة: قلبي انا من يخفق فرحا ...كنتي يوما بداخلي فكيف لا أشعر بما بداخلك
صفوة وهي تنظر للأرض خجلا مازن ينتظرني بالأسفل ليذهب معي لم أطلب منه ذلك ولم أكن أعلم بمجيئه...
أمال: اذهبي معه ولا تتأخروا على الأقل سيكون قلبي مطمئن عليكِ
قبلتها صفوة ونزلوا معا جميعا وسلموا على بعضهم وذهب كلا من صفوة ومازن بسيارة مازن وأمال ورؤوف بسيارة رؤوف..
بالسيارة رؤوف يسأل أمال من طلب من مازن المجئ؟
أمال: أخبرتني صفوة انه أخبرها بأنه بالأسفل ينتظرها وكانت خجلة مني وسعيدة فلم أرد أن أحرجها وأزيد توترها ووافقت

رؤوف: انا أخاف عليها كثيرا لا انكر اطمئناني لمازن وثقتي بأخلاقه ولكن هذا الوضع لا يريحني

أمال: اتركهما يتعرفان على بعضهما البعض وبالأخر سيتخذون قراراهم بأنفسهم... لا تقلق انا أراقب من بعيد وأعلم متى يتوجب علي التدخل

رؤوف : أحببت دوما تقديرك للأمور وفهمك لها وهدوء تصرفك... تستطيعين امتصاص غضبي ولو كان بركان

تبتسم أمال خجلا لتخبره: إن لم أفهمك بعد كل تلك الحياة بيننا فمن أفهم بتلك الحياة

يمسك رؤوف بيدها ويرفعها لفمه ويقبلها ويخبرها حفظك الله لي ياحبيبتي بالسيارة الأخرى.. مازن يحاول أن يتحدث ولكنه يتلعثم خجلا وصفوة تحاول أن تتمالك نفسها...

مازن: ما تلك العلبة بيدك؟

صفوة :لدي عمل أقوم به وهذا جزء منه هل يمكنك إيصالي للمقابر التي بجانب المسجد؟

مازن: كنت أعرف أن ورائكِ شيء ما.. مال برأسه إليها قليلا أصبحت أعرفك قليلا

صفوة تبتسم خجلا وتحرك العلبة بيدها شعرت بأنك تفهمني حقا

مازن مبتسما ابتسامة عريضة : انا بجانبك في كل ما تريدين... كيف أسير الآن

أخذت صفوة تصف له الطريق حتى وصلا المقابر القديمة فوجدوا جنازات عدة وأشخاص يرتدون جلاليب يضعون أطرافها بداخل بنطلوناتهم ويقومون بأعمال الدفن

مازن: عن ماذا نبحث؟

صفوة : لم أعلم بعد
أخذت صفوة تمر بين القبور ولا تعلم عما تبحث حتى لمحت من بعيد مقبرة بلون رخام رمادي فتذكرت مقبرة البركان الذي ينتهي دون المساس بها ...فذهبت إليها وفجأة حين اقتربت شعرت بسخونة الأرض أسفلها أخذت تنظر وجدت خطوط تسري أمامها كأنها ترسم لها المكان... ووجدت أمامها لوحة تعريف بالتربة ولكنها فارغة.... فتحت العلبة وأخذت تبحث في الحروف وجدت حروف كلمة الدمام صاحب الزمام فكتبتها فتلك هي الحروف المظلمة... فجأة ارتجت الأرض من أسفلها وقام مازن بسحبها للخلف ليجد المقبرة تنفتح ليظهر لهما درجتي سلم ويعم الظلام بباقي الدرجات....
قال مازن لصفوة لا تخبريني انكِ ستنزلين بداخلها
صفوة: لابد لي من الدخول
مازن: لن أتركِكِ بمفردك
اقتربت صفوة ووضعت أول قدم على أول درجة سلم.. وما ان وضعت القدم الأخرى حتى أصابت قدمها برودة شديدة وكأنها تقف على ثلج...
قال لها مازن لما توقفتِ؟
قالت لا أرى بعد الآن
قال لها سأنير لك كشاف هاتفي وحاول لكنه لم يعمل مطلقا
فتحت العلبة وأخرجت منها ذاك المشعل الصغير وما إن أخرجته حتى أنار القبر بنور قوي لم يكن بمخيلة أحد أن يدري كيف خرج ذاك النور الكثير من ذاك المشعل الصغير ....أخذت تنزل الدرجات حتى وجدت ثلاث

غرف أمامها... غرفة باللون الأزرق والوسطى بالأبيض والأخيرة بالأخضر... دخلت صفوة للغرفة الزرقاء وجدت بروز على الحائط غير معلوم ماهيتها... وكأنها أماكن فارغة لحروف ليست لكلمات متشابكة... أخذت تخرج من الصندوق كل الحروف الزرقاء وتضعها بأماكنها وما ان انتهت حتى لفظت إليها الجدران لؤلؤة زرقاء وامتص الجدار كل الحروف وظهرت كلمة سماء.... خرجت مسرعة للغرفة الأخرى وساعدها مازن بفعل نفس الشيء ولكن بالحروف البيضاء فخرجت لها ماسة بيضاء وامتص الجدار الحروف وظهرت كلمة ماء.... أسرعوا ودخلوا الغرفة الثالثة ووضعوا الحروف الخضراء فامتصتها الجدران وأخرجت لهم حجر زمرد أخضر وأظهرت كلمة اصلاح... وقفت صفوة وبجوارها مازن ينظرون ماذا نفعل الآن.....

قال مازن : اعتقد علينا توصيل تلك الحلقات بالصندوق بتلك الأحجار ونرى ماذا سيحدث..

قالت صفوة معك حق..

أمسك مازن الصندوق وبدأت صفوة بتوصيل حجر بحلقة والأخر بحلقة والثالث أيضا وانتظرت قليلا فلم يحدث شيء.... نظروا حولهم فلم يروا تغير... وفجأة طرأ على عقل مازن فكرة... قال لها ضعيهم. بترتيب الغرف... أعادت صفوة ترتيب الحلقات والأحجار وأغلقت الدائرة.. اهتزت الأرض من تحتهما... وأسرعا بالابتعاد ليظهر صندوق ضخم لونه بني قديم يتخلله علامات ذهبية وبرونزية على سطحه مكان مفرغ لتلك الحلقات والأحجار... قاموا بإنزالها بداخلها فظهرت نقوش غامضة على الصندوق باللون الأسود...حاولت صفوة قرأتها ولكن لم تفهم منها شيئاً... قام مازن

ليلتف حول الصندوق ثم توقف وقال لها غريبة جدا صندوق كبير ولا يوجد أي علامة لفتحه... أخرجت صفوة المفتاح الصغير من الصندوق وقالت صندوق بذاك الحجم لن يفتحه مفتاح بذاك الحجم... نظرت صفوة لأعلى الصندوق وقالت لمازن هناك شيء ينقص لفتحه.... أخذت تدير الحلقات والأحجار وتتوقف حتى فجأة انفتح الصندوق... ظل سقف الصندوق معلقا وتساقطت أضلاع الصندوق بزاوية حادة وخرج منه نور كبير وكتاب لونه أسود وورقاته سوداء ولا يوجد به شيء آخر سوى فتحة صغيرة والتي نظر مازن حينها لصفوة ليخبرا بعضهما بالنظرات أن ذاك المفتاح هو مفتاح ذاك الكتاب.... هموا بالخروج من المقبرة فانطفأ المشعل وانغلقت المقبرة خلفهما وصار كل شيء كما كان....

أمسك مازن بيد صفوة وقال لها لن أتركِكِ بمفردك بعد الآن... أصبحت أخاف عليكِ مما أرى.....

قالت لا تخف انا في حماية الله...

وضعت صفوة الكتاب الأسود والمفتاح والمشعل بالصندوق وأمسكته وما ان رفعت رأسها لمازن حتى رأت خلفه طفلة صغيرة تقف بجوار مقبرة وتنظر لهما وما ان نظرت لها صفوة حتى تدارت عن الأنظار ..أزاح مازن بصره باتجاه نظرة صفوة فلم يرى شيء فسألها ماذا هناك قالت له لا شيء أظنني أرهقت قليلا... هيا بنا نذهب لمسجد السيدة نفيسة...

قال لها وهذا الصندوق؟

قالت سأحتفظ به ولكني أريد مرآة.....

قال لها بالسيارة العديد من المرايا... هيا بنا وسننتظر أذان العصر ليفتح المسجد

دخلوا السيارة وأحضر لها مازن مرآة من حافظة السيارة وقامت صفوة بتكبير عينها ووضع الصندوق بجوار الكتاب بداخل الصدفة التي بدورها انغلقت عليهم وكأنها تخبرها بأنها ستحافظ عليهم.... وما إن أغلقت صفوة عينها حتى سمعوا صرخة مدوية بالخارج.....

الفصل ثالث عشر

سمع كلا من مازن وصفوة صرخة مدوية بالخارج فالتفت الاثنين يبحثون عن مكان وصاحب الصرخة... فإذا بها جنازة مهيبة تدخل إلى القبور لتوديع ذويهم فقد كانت أربع نعوش محمولة على الأعناق... أخذت صفوة تنظر والدموع تملأ عينيها فقاطعها مازن قائلا: اتحرك الآن؟

صفوة: أجل

مازن رابطا على يديها : كل نفس ذائقة الموت

صفوة : ونعم بالله الدوام لله وحده

وضع مازن المفتاح بداخل السيارة ليديرها فوجد صفوة تحملق في شيء بعيد...

مازن: ماذا هناك؟

صفوة : تلك الجنازة فتحت باب حوش مكتوب عليه هنا مقابر آل الدمام

مازن :شيء غريب... اذا كان هنا ما نبحث عنه فما كانت تلك المقبرة وما رأينا فيها

صفوة : مازال لدينا عمل هنا

مازن : واضح أن هناك شيء كبير

فجأة صرخت صفوة مازن أترى تلك الفتاة الصغيرة التي ترتدي جلباب نوم أبيض؟؟

مازن: لا....أين بالضبط ؟

صفوة : هناك خلف ذاك العمود للمقبرة الخضراء
مازن لا أراها.... انتظري أرى طرف قميصها الأبيض من خلف المقبرة... من هي وما تريد...هيا بنا نحاول ان نفهم
هنا ظهر بطليموس وقال لصفوة لا تتحركي حتى ينتهي دفن الموتى وخروج أخر شخص من الحوش.. لا تلفتوا الأنظار فالدمام موضع اهتمام....
صفوة : وما قصة تلك الفتاة؟
بطليموس : لا أعلم بعد ولكن هناك شيء يراقبك
صفوة ومازن معا: ماهذا الشيء؟
بطليموس: ليس بفرد واحد يتغيرون باستمرار يبحثون عن ما نبحث عنه.... أشعر بهالاتهم فقط ولكني أستنتج من هم
صفوة ومازن بإماءة رأس نعم نستنتج أيضا من يكون ولكن لابد لنا من الوصول إلى حل اللغز قبلهم
بطليموس المفتاح الذي بحوزتك ليس مفتاح الكتاب الأسود... الكتاب الأسود مفتاحه لم نجده بعد.... أرجو من الله الوصول إليه قبلهم
صفوة: ظننت أنه له وعلى هذا الأساس خرجت من المقبرة المهجورة
بطليموس تلك مرأه للمقبرة الأصلية...
مازن : تقصد انها تضليل لنا؟
بطليموس :ليس بالضبط... ولكن هي انعكاس لحقيقة.... انت رأيت الانعكاس ومازلنا لما نرى الحقيقة
صفوة: لننتظر إذا

بعد ساعة من الزمن خرج أخر شخص من مقابر آل الدمام ووقف ينظر إليها من بعيد والدموع تنهمر من عينه ثم نظر للأرض ومضى ...في تلك اللحظة قال بطليموس هيا بنا... نزل مازن وصفوة واقتربا من حارس المقبرة الذي أخبرهما أن مراسم الدفن انتهت... فأخبرته صفوة نعلم ولكن ابنة خالتي تكون زوجة المرحوم وسقطت دبلتها في القبر أثناء نحيبها الشديد على القبر وحملها للخارج...

حارس المقبرة مقاطعا إياها :ليس بإمكاننا فتح المقبرة لقد أغلقت للتو

مازن : ولكن ابنة خالتها بالمشفى في حالة يرثي لها والطبيب النفسي أخبرنا بأهمية تلك الدبلة لها فهي أخر ما تملك من زوجها رحمه الله....

صفوة بدموع في عينها أرجوك خذ ما تريد ولكن ساعدنا ولن ننسي معروفك

حارس المقبرة : حسنا سأخذ خمسمائة جنيه

مازن :لك ما تريد

حارس المقبرة : لكن بشرط لن أنزل للبحث عنها اذا أردت انزل انت..

مازن : حسنا لا عليك سأبحث بنفسي... وأخرج المال من جيبه وأعطاه إياه بطليموس بأذن صفوة أخرجي المشعل الصغير من جيبك... واحفظي كلمات الانعكاس

صفوة : انا جاهزة

فُتحت المقبرة وخرج حارسها بالخارج وقبل نزولهم عاد إليهم مسرعا لقد حضرت جنازة أخرى وعلي الذهاب لمساعدة أخي بالدفن... أخبره مازن سنبحث ونترك لك المقبرة ونغلق الباب خلفنا لن نطيل البحث إن شاء الله نزل مازن وخلفه صفوة فوجدوا غرفتان واحدة على اليمين وأخرى على

اليسار وبالنصف حائط... بطليموس همس بأذن صفوة اقرئي آل الدمام السلام... ففعلت صفوة بصوت عالٍ السلام عليك سيدي الدمام جئت لك بعد رؤية الانعكاس أريد رؤية الحقيقة الآن... عم الصمت على المكان... فهمت بتكرار السلام فوجدت بالحائط حروف مضيئة بدأت بالظهور وأضاءت المكان بنور أزرق بديع.... عليكم السلام أهل الكرام... اقتربت صفوة وخلفها مازن إلى الحائط سائلة إياه... ما حقيقة السماء؟.... كُتب على الحائط البحر انعكاسه السماء... قالت صفوة : وما حقيقة الماء؟... كُتب على الحائط الضوء انعكاسه الماء... قالت صفوة : وما حقيقة الاصلاح؟... كُتب على الحائط القلب انعكاس الاصلاح... صفوة : ما حقيقة أمري؟ كُتب على الجدار حماية الكثيرين من خطر الدمار.... صفوة : البحر- الضوء – القلب ثلاث كلمات ماذا أفعل بهما؟ كُتب علي الجدار هم مفتاح الكتاب ...صفوة : كيف أحمي نفسي وعائلتي من الأذى؟

كُتب على الجدار... قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.. فاستعن بالله

صفوة : هل سأخسر بمعركتي؟

كُتب على الحائط ...إذا ضللتي عن طريق الصواب

صفوة : وكيف أحافظ على استقامة طريقي؟

كُتب على الحائط بتذكير قلبك بوجهتك فبقلبك الاستقامة والصلاح...

صفوة : استغفر اللّه لي ولك اللهم أعنِ على طاعتك وصلاح عملي

الحائط: احترسي من إحسان... اذهبي فأنت بمعية الرحمن

خرجت صفوة ومازن وتبعهما بطليموس بالخروج من المقبرة فوجدوا الطفلة الصغيرة ذو الجلباب الأبيض أمامهم... تنظر إليهم بحذر وتوارت عن أنظارهم خلف بوابة المقبرة التي تطل على الشارع....

مازن: تلك الطفلة ورائها شيء ما
صفوة : لا عليك منها الآن هيا بنا إلى مسجد السيدة نفيسة فالعصر قد أذن منذ قليل
مازن : هيا بنا وبعد الصلاة دعينا نأكل بأقرب مكان
صفوة مبتسمة خجلا : وهو كذلك
طريق الوصول للمسجد مليئ بالمتسولين علي الجانبين وأمام المسجد سيدة تضع أمامها منضدة مصنوعة من أقفاص الدجاج فوقها لوح من الخشب وتضع عليه كتب صغيرة نادت على صفوة اقتربي مني وخذي من كتبي... ابتسمت لها صفوة وأشارت بيدها بعد الصلاة.... دخلت المسجد وصلت وجلست قليلا تفكر بكلام الدمام... خطر على تفكيرها فجأة من هو الدمام وما أصله وقصة مقبرته... قالت لنفسها سأبحث بنفسي عن الإجابة... همت بالوقوف واستدارت ونظرت لباب الخروج من المسجد لتجد الطفلة ذو الجلباب الأبيض تنظر إليها وهي تستتر بحائط المسجد...تضع فمها على ظهر يدها اليمنى التي تستند بها على الحائط فظهر منها علي يدها جروح كبيرة عميقة ... همت صفوة بالخروج فهربت الطفلة مجددا...
بالخارج قابلت مازن الذي كان بانتظارنا فأخبرته تعال معي ننظر في كتب تلك الطاولة.... وقفت أمام الطاولة ونظرت لصاحبتها وقالت: أريد كتاب عن الدمام
السيدة وهي تزيح ببصرها بعيد عنها محاولة أن تتجاهل الكلام: لا يوجد لدي فصال يا استاذ
صفوة بصوت أعلى : أريد كتاب الدمام صاحب الزمام

السيدة بنظرة فاحصة لهما : الكتاب الأصلي بمئتا جنية والمصور بمائة واحدة
مازن : أرينا الاثنين
قاطعته صفوة : نأخذ الأصلي
مازن هامسا بأذنيها وينظر للمرأة التي تراقبه : ومن يدريكِ بأنه الأصلي اذا لم تري الفرق بينهما
بطليموس بأذن صفوة : مازن على حق وتلك المرأة تحاول التلاعب
أخرجت المرأة من الصندوق الكرتون الذي بأسفل منضدتها كتابين ويبدو من الغلاف اختلافهما أمسكهما الاثنين وأشارت المرأة للأصلي وقالت هذا المصور ...ظنا منها انهم سيأخذون المصور على انه الأصلي ...ابتسم مازن وقال لها اذن سنأخذ المصور وأخرج من جيبه مائة واحدة وأعطاها إياها ...
صاحت السيدة وقالت : لقد ارتبكت ما معك هو الأصلي
ابتسم مازن وأخرج المائة الثانية وأعطاها إياها فنظرت إليه بنظرة غل وقالت احترس فلم يجد أحد طريقه بعد قراءته
مازن: لست بحاجة لمعرفة الطريق لا تقلقي... وأمسك بيد صفوة وذهبوا للسيارة
صفوة : كيف علمت انه الأصلي؟
مازن : المصور كتابته حديثة رغم انه نسخة من القديم.. أما الأصلي فيبدو على حروفه البهتان وعلى ورقه الذوبان وعلى غلافه تاريخ اصداره بعام ١٨٠٧
صفوة : بتلك السرعة قرأت التفاصيل
مازن : لم يكن لدي خيار أخر.... أشعر أن اختياراتنا بها نجاتك ولا أريد التفكير في غير ذلك

صفوة : لماذا تقف بجانبي.... كيف تصدق كل ذاك ولم تسألني ماذا يحدث حولي أو ما يدور هنا؟

مازن : لأني رأيت بعيني وسمعت بأذني وأعلم انكِ بحاجة إلي لدعمك

صفوة تزيح ببصرها لنافذتها : هذا فقط

مازن وهو ممسك بيدها : ليس هذا فقط... أحببتك منذ طفولتنا وصُغرنا... أحببت براءتك ورقتك وبريق عينك حين تتكلمين... أحببت حُمرتك حين تبتسمين وحين تخجلين.... أحببت روحك حين تهيمين وتفكرين... أحببت اسمي حين به تهمسين.... أحببت بيتك الذي به تسكنين... أحببت أباك الذي أعلمني كيف أحترم من أحب وأعامله كما لو كنت له بالحب أدين...

صفوة بخجل : وكيف احتفظت بذلك كله بداخلك كل تلك السنين

مازن : كنت أراقبك من بعيد... أحافظ عليكي من نفسي حتى بي يوما تشعرين.... هبت ذاك اليوم الذي أخبرك فيه بحبي إليكِ وأجدك لا تكترثين... أو تخبريني بأني أخاك الكبير... فيخيب أملي وأخسر حلمي وانطفئ مثل مشعلك الصغير... خفت أن أذوب مرتين... مرة من حبك والأخرى حين أحبك وانتي عني بعيد ولغيري تكونين ..أريحي قلبي بإيمائة رأس ...هل بي تشعرين؟

نظرت صفوة ليدها التي أصبحت تدفئها ببعضها في توالي مشاعر وأحاسيس متوالية لا تعرف كيف تصفها.... ولكن رفعت عينيها ونظرت إليه وابتسمت ابتسامة جميلة وأزاحت ببصرها إلى النافذة لتسمع صوت نفس مازن عاليا وكأنه أخيرا قد دخل لرئتيه الأكسجين... قالت صفوة ألم تخبرني بأنك جائع منذ الكثير... هيا فقد تأخرت على البيت...

مازن مبتسما فرحا : حسنا... انا حقا جائع جدا أشعر اني سأكل كل شيء أمامي ...وأدار مفتاح السيارة وذهبوا لمطعم صغير وأكلوا وهم يتبادلون النظرات الصامتة بنظرات خجولة حنونة... ثم ركبوا السيارة وأوصلها إلى المنزل وصعد معها ليسلم على الجميع.... نزل مازن بعد قليل فلم يجلس كثيرا وخرجت صفوة مسرعة إلى الشرفة تنظر إليه وهو يركب سيارته وينظر إلى أعلى ليشير بيده إليها ولكنه رأى.....

الفصل الرابع عشر

وقف مازن بجوار سيارته وقبل أن يركب رفع وجهه للأعلى مبتسما لتزول من وجهه البسمة ويسود الجمود على وجهه حين رأى صفوة تقف بالشرفة ولكن على وجهها نظرات خوف شديدة وتنظر إلى شجرة كبيرة بأخر الشارع... أغلق باب سيارته مجددا وصعد فوق الرصيف المقابل محاولا رؤية ما الذي تراه صفوة فيطمئن... ولكنه لم يرى شيء فقرر الصعود لأعلى مجدداً...

في الشرفة صفوة تنظر لشجرة كبيرة بأخر الشارع لتجد الطفلة ذات الجلباب الأبيض والشعر الأصفر تقف تحتها ...وما إن رأتها صفوة حتى أصبحت تقترب وكأنها لا تسير ولكن يحملها الهواء إليها.. وحين همت بالاقتراب ابتعدت عنها فقد رأت مازن ورؤوف يقفون خلفها...

أمسك رؤوف بصفوة وقال لهم ما قصتها لقد رأيت كل شيء

مازن : تلك الطفلة كيف أتت من المقابر إلى هنا خلفنا؟

رؤوف : أي مقابر هذه؟ أين كنتم اليوم؟

صفوة : تحاول أن تنخفض لترى أين تقف تلك الطفلة فوجدتها وأشارت لوالدها انظر انها تقف خلف الشجرة تنظر الي....

انخفض كلا من مازن ورؤوف قليلا ليروها فرأوا ذيل جلبابها الأبيض في محاولاتها للتخفي... فقال مازن أظن انها تريدك بمفردكِ

صفوة : إذن سأذهب إليها

رؤوف : إلى أين تذهبين.... لن تذهبي إلى أي مكان قبل أن أعرف ما الذي تحاولي اخفائه عني
مازن : لا تقلق بشأن صفوة فأنا بجانبها وسنحكي لك ك....
رؤوف مقاطعا إياه بعصبية شديدة : وكيف اطمئن وقد كذبت علي اليوم... أخبرتني بذهابها لمسجد السيدة نفيسة والآن أسمع مقابر وأرى طفلة مريبة حافية تقف تراقب ابنتي وابنه خالتها المصون يقنعني انه بجانبها اذا كنت ما زلت قلقلا بسبب تقربك منها... الكثير من الأشياء لا أفهمها.... نظر لصفوة وقال لها اذا كنتي اتخذتي طريقك بمفردك لحمايتنا فاعلمي انك تضرينا وتضرين نفسك معنا... ما يدور حولك ليس باليسير وما تقابلين يحتاج للتروي والتفكير... كيف تنزلين لمقبرة الدمام وحدك... جدتك فعلت ذلك ذات يوم وكادت تدفع حياتها وحياة الآخرين ثمنا لمحاولتها الفهم لما يدور حولها... ومعاني جميع الأشياء الملقاة بطريقها... لن تمر كل مرة مرور الكرام... انظري إلي وأخبريني ماذا تحاولين أن تفعلي... أمسك بكتفيها وأخذ يهزهم إليه انا لا أريد خسارتك... لا أستطيع مساعدتك ولكن اتركيني بجانبكِ انا لم ولن أحب في تلك الدنيا أحد مثلك... مال رؤوف عليها وأخذها بحضنه وقال لها قفي بحضني ماحييتِ فبداخلي فقط اطمئن عليكِ...انا.... اريـ.. دك ان وسقط رؤوف وأمسكه مازن مسرعا قبل أن تنزل رأسه على الأرض... حاول مازن وصفوة مناداته ولكن لا يستجيب... فتحت أمال باب الشقة فقد كانت عند جارتها ودخلت لترى رؤوف ساقطا على الأرض فهرعت إليه..... رؤوف فق بالله عليك ..قلبي سيقف قسما بالله ياحبيبي... أفق وانظر إلي... مازن مسرعا حاول حمله فلم يستطع فساعدته صفوة أن

يضعه فوق كتفيه.... وأشار مازن لصفوة بأن تأخذ مفتاح السيارة من جيبه وتسبقه على السيارة لتفتح الباب الخلفي ...فتجلس أمال وتسحب رؤوف ليستند برأسه على كتفها... ركب مازن وصفوة بالأمام وانطلق مسرعا إلى أقرب مشفى..

في المستشفى أسرع الكثير من التمريض لإخراج رؤوف من السيارة ووضعه بالكرسي المتحرك وادخاله حجرة الكشف... جاء الطبيب مسرعا ومع الكشف أخبرهم بضرورة نقله الرعاية المركزة فهناك جلطة قلبية فأخبره مازن افعل المطلوب أرجوك... سأله الطبيب من انت وماذا تقرب له قال ابنه

بالاستراحة تجلس أمال وهي تقرأ سورة يس وهي تبكي وتحتضنها صفوة وهي ساندة على كتفها والدموع تنهمر من عينها... ويقف مازن يتحدث في التليفون لوالدته يخبرها بما جرى فأخبرته بأنها ستأتي على الفور

بعد ساعتين ....خرج إليهم الطبيب وأخبرهم بأنهم أدخلوه العمليات وقاموا بتركيب دعامات وهو الآن تحت الرعاية المركزة واذا استقر وضعه فمن الممكن أن يخرج لغرفة بعد الظهر غدا إن شاء الله

حضنت أمال رقية وقالت أحمدت ربي على استجابة دعائي...

هدي : الله أكرم من أن يسيئنا به... قلت لكِ ثقي بالله

صفوة : الحمد والشكر لله

مازن هيا لأصلكم للمنزل جميعا فلا داعي لوجودكم هنا الآن

أمال: لن أخرج من تلك المشفي إلا ورؤوف يده بيدي اذهبوا انتم وانا سأظل جالسة هنا

صفوة : وانا لن أدخل ذالك المنزل بمفردي أدامكما الله لي وبكت

مازن : اهدئ ياصفوة فقد اطمئننتي عليه... لن يذهب أحد سننتظر جميعا للصباح... الساعة الآن الواحدة والنصف ارتاحوا قليلا ومن يرد شيئاً يخبرني وسأذهب لإحضارها لكم

رقية: حفظك الله لي وجعلك نعم السند

أمال : أمين يا رب العالمين

الساعة الخامسة والربع صباحا... سُمع أذان الفجر في المسجد المقابل للمشفى فوقفت صفوة وذهبت للنافذة المقابلة لها وفتحتها واخذت تتنفس هواء الصباح البارد وهي تنظر للسماء... فتحت عينها ونظرت لباب المسجد والمصلين يتوافدون للصلاة فزاح بصرها بعيدا قليلا فوجدت الطفلة الصغيرة تقف أمامها دون أن تختبئ وكأنها تريدها أن تراها... اعتدلت صفوة في وقفتها وأخذت تتمعن لحركات وجهها وجسدها لتفهم ماذا تريد فوجدتها تومئ إليها برأسها لتأتي إليها...

أفاق مازن وتفقد والدته وخالته فوجدهم نائمون يستندون على كتف كلا منهما على الأخرى... فنظر لكرسي صفوة وجده فارغا فزاغ ببصره بالمكان ليجدها تقف أمام النافذة المقابلة فوقف وذهب إليها وقال ما الذي أيقظك؟

صفوة: أذان الفجر

مازن وهو ينظر للخارج: وعلى ماذا تنظرين؟

صفوة : لا شيء

لمح مازن الطفلة تختبئ خلف شجرة صغيرة بجوار مدخل المسجد فقال لصفوة لقد أتت خلفنا هنا أيضا

صفوة : سأذهب لفهم ماذا تريد
مازن: ألم ترى ما حدث لوالدك... معه كل الحق في قلقه عما يدور معك... ما ترينه ليس بهين... وما تمرين به لا يستطيع أقوى الرجال الثبات بعده... قفي أمام فضولك وألجميه بلجام من ثبات... لو كان مهما سيظهر بمفرده دون عناء...
صفوة : أرجوك.... مراقبتها لي توتري لم أستطع النوم حقا... أريد أن أعرف لماذا تتبعني كي أهدأ ويزول قلقي على عائلتي
مازن : ولكن بشرط..
صفوة : ما هو؟
مازن : سأتي معك وحين أخبرك بأننا لابد لنا من الرحيل ستنصاعين خلف مطلبي.... هل توافقين؟
صفوة مبتسمة: حسنا هيا بنا
نزل كلا من مازن وصفوة على الدرج حتى وصلا لبوابة المشفى ففتحها مازن لصفوة فخرجت أولا فرأت الطفلة تخرج من خلف الشجرة.. وما إن خرج مازن خلف صفوة حتى توارت ثانية وأصبحت تنظر بعين واحدة من خلف الشجرة.... مشت صفوة إليها وأشارت لمازن أن يظل واقفا أمام الرصيف وهي ستذهب إليها فقد شعرت بخوفها من أي شخص سواها...
صفوة : ها انا أمامك من انتِ وماذا تريدين؟
نظرت إليها الطفلة وحين نظرت صفوة إلى عينها وجدتها بيضاء صافية من غير أي نني أو رموش... دب الخوف في قلب صفوة ونظرت لمازن الذي ما إن نظرت إليه تلك النظرة حتى هرع ليقف بجانب صفوة ورأى ما رأته

فأمسك بيدها فتراجعت الطفلة للخلف حين رأت مازن بجوارها فطمأنتها صفوة لا تخافي هذا معي ولن يؤذيكي أو يضرك.... فقط أخبريني من انتِ ولما تلحقين بي؟

أشارت إليهم بإصبعها أن يأتوا معها فمشت وساروا خلفها حتى رأت الشمس تشرق في تلك الحديقة الواسعة القريبة من المشفى... أدخلتهم الحديقة من السور الحديد دون أن تفتحه.... ظل مازن خلفها ممسكا بيد صفوة وهو يشعر بالخوف ويحاول التماسك أمام صفوة.... وقفت أمام النافورة الكبيرة ونظرت للشمس وانتظرت حتى سقط شعاع ضوء من الشمس على الماء فانعكست صورة كبيرة جداً على السماء وكأنها شاشة عرض كبيرة ... قالت الطفلة ضوء وماء فقالت صفوة والإصلاح من القلب ...

أشارت الطفلة لتلك الشاشة على السماء والهواء فرأوا مدينة عظيمة حدودها يصل من نهر النيل لأعلى الجزيرة العربية وايران تسمى ببلاد فارس حيث الازدهار والتقدم والازدهار بجمال المناظر الطبيعية الخلابة... أخذت صفوة تكبر الصورة إلى أن وجدت رجالا يرتدون ملابس سوداء وطاقية صغيرة بمنتصف الرأس يقفون بجوار بعضهم البعض يتشاورن... لم تفهم صفوة لغتهم ببداية الأمر حتى دخل أحدهم إلى مبنى كبير عال السقف شاهق الارتفاع تكاد تكون السماء حاضنة إياه... دخلت صفوة وراءه فرأته يمسك بكتاب كبير غلافه من جلد الماعز فتحه يقرأ لهم منه بعض الكلمات فنظرت صفوة للتاريخ وأشارت لمازن نحن الآن بعام ٤٥٥ ق. م شهقت صفوة ومازن وأخذا ينظران ليفهما ما يدور حولهما..

قالت الطفلة : نحن الآن بعصر الأخمينيون...أسرة ملكية فارسية حكمت أكبر بقعة من الأرض في الفترة من ٥٥٩-٣٣١ ق. م حيث انتشرت الديانة اليهودية وزادت خطياهم وذنوبهم فأصبح اليهود يكفرون عن ذنوبهم بفطيرة الدم فيعيد البوريم الذي يحتفلون فيه بنجاتهم من الإبادة في بلاد فارس في عهد الأخمينيون كذلك احتفالا بالمذابح الجماعية التي أقاموها في الأقوام التي لم تحمل ديانتهم ،الذين حملوا صفات مناقضة لتلك المألوفة عند اليهود ، كـإظهار الشفقة أو صحوة الضمير ،فذهب ضحية تلك المذابح خمس وسبعون ألفا من الأبرياء في بلاد فارس.

واعتاد اليهود في مناسبة البوريم نذبح رجل بالغ من غيراليهود أو طفل في عمرالسابعة ،بعد تعذيبه ثم تصفية دمه تماما في وعاء مناسب، ومن ثم يتم تجفيف الدماء حتى تصبح مسحوقا يصنع به فطيرة الدم التي تعد الأضحية لهذا العيد ؛بهدف تكفيرالذنوب.

رأى كلا من مازن ماحكته الطفلة بعينهم فشفقوا عليها.... لكن استوقفتها صفوة قائلة ولكن من انتِ ولم انتِ هنا؟

الطفلة : انا إحدى هؤلاءِ الأضاحي... ذبحوني ولكن لم يأخذوا أخر قطرات دم من قلبي فظللت معلقة بين الموت والحياة لا أعرف كيف أنهي ذلك ولا كيف أموت وألتقي بأهلي... لا أستطيع العودة إلا من خلال مساعدة أحد من مَنْ يدخل تلك المقبرة ليرى مالا يراه سواه ....ساعديني أخرج من تلك الوحدة... أعيديني لأسرتي ...وأخذت تبكي دموعا سوداء اللون وكلما بكت شحب لون بشرتها أكثر وأكثر

مازن: والدك قبل الاغماء أخبرك بأن جدتك قد دخلت تلك المقبرة فلما لم تساعدها؟

صفوة : أحتاج إلى بطليموس أين ذهب وتركني بمفردي لا أفهم ما يدور حولي ....

مازن : هيا بنا نعود الآن نطمأن على عمي رؤوف ثم نفكر فيما يدور ويكون بطليموس معنا يخبرنا بما علينا أن نفعل

صفوة : معك حق.... نظرت للطفلة وقالت إذا كنتي انتظرتني كل ذاك الوقت فانتظرني قليلا

أخذ مازن يد صفوة وعادا للمشفى ويخبرها انه يشعر بشيء ورائها ولكن لا يعلم ما هو..

أمام الرعاية المركزة ...وجدوا أمال تبكي وحولها أختها رقية ومجموعة من الرجال وامرأتان من ملابسهم علمت صفوة انهم من القرية ولكن لما تبكي أمي.... هرعت صفوة إليها فصرخت أمال عليها أين كنتي وتركتني بمفردي في كل ما حدث

صفوة بزعر شديد: ماذا حدث؟؟؟

انا احدي هؤلاء الأضاحي.... ذبحوني ولكن لم يأخذوا أخر قطرات دمي...
...فظللت معلقة بين الموتتين

الفصل الخامس عشر

دخل كلا من مازن وصفوة المشفى وما إن صعدا لطابق الرعاية المركزة حتى وجدوا أمال تبكي بحرقة وحولها رقية وامرأتان وعدة رجال يرتدون زي القادمين من الريف

أمال وهي تصرخ بصفوة :أين كنتي؟ وكيف تتركيني بمفردي؟

صفوة: ماذا حدث؟ هل أبي بخير؟

أمال : تدهورت حالته أثناء أذان الفجر

صفوة وبدأت تبكي بحرقة :وكيف هو الآن؟

هدى :بخير الآن ولكنه دخل لغرفة العمليات مرة أخرى لإزالة جلطة صغيره أدت لانسداد أخر

صفوة: انا السبب في كل ذلك كل ماحدث له بسبب حزنه الشديد مني لن أسامح نفسي اذا حدث له أي شيء

مازن ورقية يربتون على كتفيها ويقولون لا تقولي هذا أبدا الله كريم معنا ولن يسيئنا به أبدا ادعي له

انفتح باب غرفة العمليات ليخرج رؤوف نائما على سرير متحرك ليهرع الجميع إليه فطلب الأطباء الإبتعاد لإدخاله الرعاية المركزة.

فورا وقف طبيب القلب معهم وبدأ يتحدث: السيد رؤوف كان يعاني من انسداد بأكثر من مكان لقد قمنا بعمل اللازم وبإذن الله سيتحسن ولكن عليه متابعة طبيب قلب وأوعية دموية من اليوم وألا يهمل بصحته لأن

هذا تراكم إهمال سنين
أمال وصفوة: لن نهمل أبدا
الطبيب :حمدلله على سلامته.... اسمحوا لي بالإنصراف
مازن: تفضل وشكرا لك.... ولكن متى يمكننا رؤيته؟
الطبيب: سيفيق من المخدر ونطمئن عليه لساعتين ان استقر وضعه سنخرجه لغرفة عادية.... وان شاء الله خير
مازن: شكرا لك
صفوة :الحمدلله انه بخير
أمال : صفوة هؤلاء أتوا من البلد منذ قليل على البيت فلم يجدونا فأخبروهم الجيران بوضع أبيك وبمكاننا فأتوا إلى هنا
صفوة:ولما أتوا؟
امال :لا أعلم ولست بوضع يمكنني من الاستماع لشيء سوى صوت رؤوف
مازن :لا تقلقي خالتي سأتفقد الأمر
صفوة انتظرني سأتي معك
ذهب كلا من صفوة باتجاه الاستراحة بأخر الممر وهم ينظرون إلى الجميع ويتبادلون النظرات
همس بطليموس لصفوة: احترسي هالة أحدهم ليست ببشرية
صفوة: أي منهم؟
بطليموس :انه يتنقل بأجسادهم دخولا وخروجا
صفوة:وكيف أخذ إذن الدخول لا يعقل جميعهم مقصرون ومعاقبون
بطليموس:أو انهم متأمرون

مازن:إذن هم مع عدونا
بطليموس هذا حقيقي بالفعل
وقف الجميع ومد رجل يده ليسلم على مازن وصفوة فمد مازن يده وقال له أهلا وسهلا... قال الرجل انا أسعد وهذا عتمان وهذا محسب وهؤلاء اخوتي راجية وحُسنة.... جميعنا من عائلة العاصي أولاد عم
صفوة: سامحني ولكني لم أفهم بعد من انتم ولما أتيتم ولماذا تريدون أبي؟
اسعد:انا ابن ثريا بنت روحية.... هل عرفتني الآن وابتسم ابتسامة ماكرة
مازن :لازلنا لا نعلم من انتم إذن ماذا تريدون
محسب:عمتي أرسلتنا لمقابلة العم رؤوف وأخذه معنا لمقابلتها في أمر هام
صفوة :انت ترى وضعه لا يستطيع ولن يذهب لمكان قبل أن أعرف لماذا تريدونه
اسعد :سننتظره حتى يفيق ونسمع رأيه بنفسه
مازن محاولا سحب صفوة للخلف قال لها اتركيهم ينتظرون عمي لن يذهب لمكان بمفرده هذا إن وافق على رؤيتهم
تركتهم صفوة ورجعت أمام الرعاية فوجدت أبيها يخرج فوق كرسي متحرك ويبتسم لهم فهموا جميعا بالجري نحوه
صفوة :أبي حمدلله على سلامتك سامحني لم أكن أقصد أن أضايقك لن أسامح نفسي عما حدث
رؤوف وهو يمسح بيده فوق ظهرها ويقبل رأسها التي ألقاها بحضنه :لا تخافي انا كنت مريضا وكابرت وتلك هي النتيجة
أمال :كاد قلبي أن يتوقف حمدلله على سلامتك وهي تربط بيدها على كتفه فأمسك بيدها يقبلها فوضعت رأسه على يدها تسندها والممرضة تسير به لغرفته

في نفس الوقت كان مازن يحاول أن يفهم من آل العاصي ماذا يريدون ولكنهم أصروا على التكلم أمام رؤوف فقط فتركهم و ذهب للرعاية فعلم انهم ذهبوا لغرفة عادية فذهب إليهم

بالغرفة.... يرقد رؤوف على السرير بوضع نصف جالس وبجواره أمال من جانب وصفوة من الجانب الأخر كلا ممسكا بيده وتقف رقية أمامه... دخل مازن فنظر الجميع إليه فدخل وقَبَّل رأس رؤوف وقال له حمدلله على سلامتك

رؤوف: شكرا لك انك لم تترك آل بيتي بمفردهم أخبرتني أمال بكل مافعلت

مازن :انا ابنك وما فعلت واجبي وحين تستريح لي معك حديث يريح قلبك ويرضيك

ابتسمت صفوة وخجلت فربت رؤوف على يدها وقال:انا هنا بجانبك لقد عدت من أجلك

قبلت صفوة يداه ودعت له فأمن الجميع

مازن :هيا جميعاً نخرج وندع عمي يستريح

صفوة :حسنا

أمال: هناك أناس جاءوك من البلد ينتظرون من الفجر لملاقاتك

رؤوف: من هم

مازن :عائلة العاصي امرأتان وثلاث رجال حاولت أن أفهم منهم ماذا يريدون ولكن لم يريدوا البوح إلا إليك

شحب وجه رؤوف ونظر إلى صفوة هل كلمتي أحدا من نسائهم؟

صفوة:لم يتفوهوا بكلمة واحدة فلم أوجه لهم الكلام

رؤوف : أدخلهم وأخرج والدتك وخالتك وصفوة بالخارج وابق معي
أمال ورقية انتظر قليلا حتى تستعيد عافيتك
رؤوف انا بخير لن يرحلوا قبل مقابلتي
مازن: هذا ماقالوه بالفعل
خرج الجميع وأشار مازن إليهم بالدخول وفدخلت راجية وحُسنة وخلفهم اسعد ومحسب وعتمان قال اسعد الف سلامة يااستاذ رؤوف وردد الجميع خلف حمدلله على سلامتك
رؤوف :شكرا لكم كيف أخدمكم وأشار بيده لمازن يحضر مشروبات فرفع مازن الهاتف وطلب خمس عصير ووضع الهاتف وقال لرؤوف ابدأ ياعمي بالحديث
أشار رؤوف لأسعد يتحدث فقال..... ابنتك كسرت العهد ونزلت أرض الميثاق ودخلت قبر الدمام رغم نصوص المعاهد.... انت تعرف العقوبة
راجية:لم يدخل أحد لقبر الدمام منذ زمن.... كسر المعاهدة وقد كُسرت من جانبكم.... العقاب كما تنص المعاهدة.... أن تفتح قبور عائلتكم ومايخرج منها يدفن بمقابرنا للأبد
رؤوف متعصبا :مستحيل أن أترك رفات أجساد أجدادي وأبائي لكم
حُسنة: و طفلتك الرضيع هل نسيتها؟.... لم تتعلق بها ضحى بها وتظل المعاهدة كما هي أو تعود معنا لأرض الميثاق ونحتكم لكتاب الأسرار الذي مع ابنتك.... هذا وإلا سنحضر ابنتك جثة ورفات لمقبرتنا
مازن :لن يذهب أحد ولن تُفتح مقابرنا إلا بجثثنا

عتمان:من انت ولما تتحدث.... لست من سألتهم لترفع صوتك.... نظر لرؤوف وقال له سننتظرك بالخارج عشر دقائق فكر وأرسل لنا الرد لنعود قبل الليل ونبدأ المراسم

أحنى رؤوف رأسه ووقفوا جميعا فقالت راجية:صدقت ثريا حين قالت ستأتي إلينا مطأطأ الرأس

خرجوا ووقف مازن مصدوما :كيف تصمت ولا تخبرهم برفضك

دخل كلا من صفوة وأمال ورقية ونظروا لرؤوف الذي تظهر عليه علامات الحزن والقلق

صفوة: ماذا أرادوا؟

مازن أخبر صفوة وقال لها يبدو اننا تسرعنا بدخول تلك المقابر .... لقد فهمت الآن لما مرض عمي رؤوف هكذا

صفوة: أعطهم ما يريدون ولا تذهب إليهم

رؤوف:وبمن أضحي ليدخل مقبرة جحيم العاصي... تلك من احتموا بغير الله.... بمن أضحي بأختك أم أمي أم أبي أم جدودي.... سننهزم ويفوز حارس السحر ويعم الدمار ويُقتل الجميع على يدي وفي عهدي بسبب تهورك

صفوة صدقني لم أفهم سوى بضع كلمات .... أخبرني الدمام ان احترس من إحسان

رؤوف :أحضري كتاب الأسرار ذو الغلاف الجلد البني

صفوة: ولكني لا أستطيع تسليمه ما زلت لم أفهم الكثير منه

رؤوف لسنا بوضع اختيار سأحاول الخروج بأقل الأضرار بذلك الاجتماع

مازن أحضر سيارتك أمام المشفى وأخبرهم اننا سنقود خلفهم

أمال: لا تذهب لا تضحي بإبنتي.... أخاف عليكم من الذهاب انت لم تسترد عافيتك بعد

رؤوف :انا سندها ولن أتخلى عنها وأتركها لمصيرها... ما كُتب عليها ليس اختيارها... ولا باختيارنا.... ولكن حماية الأمانة مهمتنا وخيارنا.... سأفعل مابوسعي لأقابل ربي بنفس راضية.... نظر لصفوة وقال هيا أحضري الكتاب وأعطه لمازن يعطيهم إياه.... عتمان بالخارج ينتظر حمله

مازن ولما عتمان: أكثر الأجساد قوة تحتمل عبور الأطياف وأكثر الموجودين بعائلة آل العاصي تجبرا.... وكلما كنت مغرورا كلما ازدادت هالتك احمرار وتجذب الشر إليك أضعافا

دخلت صفوة إلى المرحاض ونظرت بالمرآة وفتحت عينها وأخذت بتكبير الصورة وأخرجت الكتاب فظهر أمامها صور تسحبها لمنطقة بعيدة داخل المحيط فوجدت غواصة الملك بأريوس وجدته أمامها وبجواره رسوله وبطليموس.... اقرأتهم السلام وما إن همت بإخبارهم حتى أشار إليها بطليموس بأنه أخبر الملك بأريوس وملك الطير سوف يكونون بجوارهم

صفوة:ولكنهم سيأخذون الكتاب

ابتسم الملك بأريوس وأزاح الشعر عن وجهه فظهرت عينه المخفية وقال لها أعطيهم إياه لسنا بحاجته الآن

أخذت الكتاب واستدارت لتجد مازن ورؤوف يتابعون ما يحدث معها فأعططهم الكتاب فقال رؤوف هيا بنا

خرج مازن إليهم وسلمهم الكتاب وقال لهم سننزل بعد قليل وسنسير خلفكم بسيارتها

حمل عتمان الكتاب وما إن أمسك به حتى سمع صوت شخص يزووم وكأنه يحتفل بالانتصار بأنه أخيرا أمسك بالكتاب بيده
خرج الجميع من الغرفة وقال رؤوف لرقية خذي أمال لمنزلك ولا تعودوا لمنزلنا حتى نعود ولا تتركي أمال بمفردها أبدا..... رقية أرجوكي أمال بأمانتك
رقية: لا تخف رؤوف اذهبوا في رعاية الله الله معكم ومعنا
ركبت كل مجموعة سيارتهم وانتلقوا إلى البلد لحضور الاجتماع الذي ما إن وصلوا حتى.....

منزل آل العاصي... يمكنك فيه الدخول في عالم أخر... لكن حين تختار لا يؤمن القرار.... ولا يمكنك الفرار.... انت هنا بإختيارك... وكل ما تراه مليئ ....بالأسرار... والأشرار

الفصل السادس عشر

وصل الجميع إلى القرية والتي ما إن وصلوا حتى رأت صفوة أرقام السيارتين آل العاصي ١٤٧٦ر ج.... ١٣٦٧و د.... ركزت ثانية فلتف إليها مازن وقال لها ماذا هناك؟

صفوة: هما تلك السيارتين

صفوة:أتذكر رقم السيارتين التي كانت بورق مفكرة الطبيب على المكتب؟

مازن:أي طبيب؟

صفوة:طبيب العيون الذي ذهبت إليه دينا صديقتي

مازن :نعم نعم تذكرت... ماذا بهم؟ لماذا تذكرتهم؟

زن: تقصدين أن ما حدث لدينا كان بتنفيذ آل العاصي؟

رفعت صفوة حاجبها الأيسر وأومأت برأسها لكتفها الأيسر وقالت : أو هم المخططون

مازن : يبدوا انهم يحاولون الإيقاع بك بأي طريقة

رؤوف: صفوة مازن اقتربا وأسرعا قليلا

دخل رؤوف منزل كبير عمدانه أربع نخلات فقالت صفوة هذا منزل ثريا فقال رؤوف ولكن هذا باب المندرة ليس الباب الذي وقفتي أمامه من قبل صفوة فعلا يبدو أن هذا البيت له عدة أبواب وملحقات

مازن:هناك الكثير من الرجال والنساء

رؤوف :كل هؤلاء ينتظرون سقوطنا اللهم انصرنا يا الله

بطليموس في أذن صفوة:ابحثي عن إحسان
صفوة :ماهيئتها؟ كيف أصل إليها؟
بطليموس:اتبعي حدسك
مازن:بماذا أخبرك بطليموس؟
صفوة :أبحث عن إحسان
دخل الجميع مجلس منزل ثريا والجميع يقف رجالا ونساء عدا سيدة تجلس على أريكة لا مسند لها تنحني لركبتها وبيدها سبحة سوداء تكاد تنير من شدة جمالها... ترتدي جلباب أسود وطرحتان سودتان الأولى مربوطة للخلف تعصب بها نصف جبهتها والطرح الأخرى تتدلى فوقها وتضع طرفها على كتفها والآخر ينسدل أمامها خلف سبحتها.... رفعت رأسها لأعلى ونظرت لرؤوف وقالت:أهلا ب آل الصفوة أخيرا نزلت بيت أرض الميثاق.... جئت بخطأك وخُطاك...بمن قررت التنازل عنه ليُبعث من مقبرنا إلى جنة ربنا
رؤوف: لست هنا لإقناع أحدكم بشر ماتفعلون أو بما تعلقون... لن أضحي بأحد.... أحتكم لكتاب الأسرار اقرأ عليه السلام يخرج لي مصير السلام.... أرضى به وأنفذه دون كلام
انفتح كتاب الأسرار من فوق يد عتمان وخرجت منه شعاعات بثلاث ألوان أبيض وأزرق وأخضر أنار كل شعاع ركن من أركان المجلس وبقي ركن مظلم.... رفعت العجوز رأسها لأعلى تنظر للأنوار ورفعت يدها وقالت احكم بنور من الأرض يصل للسماء ينير بيوتنا ويظلم ركن عدونا.... انطق بالحكم المنتظر نحن أهل الصواب ويحق لنا بكسر العهد أخذ رفات شخص منهم لتدخل بها روح سيدي حارس السحر فيقوي كلما انتقم... ودخلت

طاقته طاقات العدو وانقسم... انطق بالحكم يُنفذ ولو على رقابنا جميعا تجمعت الأضواء الثلاث لتخرج حزمة ضوئية واحدة كبيرة فكتبت في الركن المظلم.... حرب ابتدت بالقتال لن تنتهي بالسلام.... الحق بَيِّن والضلال بَيّن.... حرب بأرض الميثاق تحدد مقبرة الفريق.... امتثل للحكم تكن قد صدقت صرخت العجوز :تلك أكذوبة من آل الصفوة... الحرب لن تنجدهم من أيدينا تريدون الدم فليكن... ونظرت لرؤوف وقالت :كنت تعتقد انك ستخرج من هنا دون تضحية بأحد أبشرك ستضحي بأغلى ماعندك... ستتحسر على ماتملك فستعد للألم

صفوة بابتسامة: ما أعرفه عن كبيرة آل العاصي انها ليست بثرثارة... من انتِ؟ وأين كبيرتكم تختبأ؟

رؤوف لصفوة ماذا تقولين نحن بأرضهم التنوين دفننا هنا؟

صفوة:قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا.... وهذا ما أخبرني به الدمام أيضا

صرخ عتمان بصوت جهوري بصوت ليس لبشر فوضع الجميع أيديهم على أذُنهم عدا حُسنة فرفعت صفوة عينها وابتسمت لحُسنة وأزالت يدها من فوق أذنها وابتسمت بانتصار لعتمان فتوقف عن الصراخ فجأة... عادت صفوة ببصرها لحُسنة وقالت :أهلا بكبيرة آل العاصي.... أهلا باحسان التي أخبرني عنها الدمام

ثارت حُسنة وقالت عن أي شيء تتحدثين؟

صفوة:عن خوفك من آل الصفوة... تلك العائلة التي جئت انا بعد ثلاث عقود وتسميت باسمهم فتضاعفت قدراتهم بي... لم تتحملي أن تجلسي بمجلسكِ تنتظرينني فأتيتِ بنفسك لتريني لعلك ترين ثغرة ضعفا يدخلك

إلي.. ولكن لم تستطيعي أن تجدي شيء فأجلستي غيرك بمجلسكِ... عجوز كدت أصدق انها الكبيرة لولا غلطة واحدة

حُسنة: وما هي؟

صفوة :ولما أخبرك الست معك من يخبرك بكيف تُخطين؟! نصيحتي إليكِ بمشورته فكري مرتين... موعدنا بأرض الميثاق عند اكتمال القمر... نحارب لننتصر أو نموت فنحتكم لخالق السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون

حُسنة: سيظل الكتاب معنا إلى انتهاء الحرب ويكون وقتها للفائز هو والجثث

رؤوف : هيا بنا الآن فلم يعد هناك كلام

خرج مازن وصفوة وخلفهما رؤوف فهّم خلفهم اسعد يراقبهم إلى أين يذهبون.. هل سيعودون للقاهرة أم بالقرية سيبيتون

بطليموس :ملك الطير يقرؤك السلام ويُخبرك بأنك اجتزتِ اختبار من لديهم.... إحسان تختبئ كالأفعى وأول طرق كسر سمها هو معرفة هيئتها ومخبئها... هنيئا لك بذاك النصر..

صفوة:ما كنت أستطيع معرفتها لولا تلك البنت الصغيرة ذو الجلباب الأبيض... ظلت تمر من خلالهم جميعا فكانت حُسنة الوحيدة المغلقة لهالاتها... محصنة لقلاعها وليس هذا فقط بل امتصت هالاتها طاقة الطفلة وكان على أن أتحرك سريعا لأشتت انتباهها وإلا اكتشفت أمر تلك الطفلة وكانت تحت اِمرتها... لذا وجب على مساعدتها للحاق بأهلها

بطليموس: انظري ما تريدين ونحن معك

مازن :ولكن لماذا لم يرى أي منا الطفلة كما بالسابق؟

رؤوف لو كانت ظهرت لنا لظهرت لهم وانفضح أمرنا وتعاملوا معنا على اننا أدخلنا جواسيس اجتماع الأسياد وكان حُكم علينا بأخذ كتاب الأسرار للأبد

صفوة: ها هو قد قال لك

رؤوف للجميع :سنبيت هنا لاكتمال القمر لم يتبق سوى ليلتان

صفوة: سأدخل للبيت الآن أرى كيف أساعد تلك الطفلة

رؤوف :ارتاحي اليوم وابدئي غدا فلم ترتاحي منذ الأمس

صفوة :انت من يجب عليه الراحة... لا تنشغل بي لا أريد التأخر عنها يوما أخر... أريد لها الاجتماع بعائلتها مثلما أريد أن أعود بكم سالمة لأمي

احتضنها رؤوف وقال :ما كنت لأدري ماذا كنت سأفعل اليوم لو لم تكوني معي

صفوة: كان الله ليرسل إليك من ينصرك... حتى وان لم تنتصر فلأنه يجهز لك نصرا من شدته تسجد لله باكيا

رؤوف ومازن ونعم بالله

دخل الجميع المنزل وأضائوا الأنوار ودخل مازن ورؤوف غرفتهم التي نزلوا بها المرة السابقة ودخلت صفوة الغرفة المجاورة التي ما إن أضائت نورها حتى رأت الطفلة الصغيرة تقف أمامها... فِزعت صفوة قليلا وقالت لها لما انتي هنا؟

الطفلة: سمعتك وانتي تقولين لهم انك ستبدأين الليلة بمساعدتي فجئت أساعدك

صفوة: حسنا ولكن لا تتحدثين مطلقا بجواري حتى لا أخسر تركيزي ولا أستطيع الفهم

ابتسمت الطفلة وقالت بفرح حسنا لن أتفوه بحرف من الآن.

وقفت صفوة أمام المرآة تكبر ذاك الجزء الأحمر بطرف عينها الداخلي لتبحث عن الكتاب الأسود ذو الأوراق السوداء بالبحر الميت شديد السواد والملوحة لتخرجه وتغلق عينها لتعود من جديد ولكن عينها تتساقط منها دموعا خضراء تلك المرة.... عجبت صفوة من لونها وأخذت تدقق النظر مجددا فرأت ....

الفصل السابع عشر

أخذت صفوة تكبر الصورة بالمرآة فتساقطت دموع خضراء لا تعلم لما نزلت أو لما هي بذاك اللون... قالت الطفلة لها..... لأن غايتك إرسالي لوطني وزمني وتلك خيرات سقطت من عينيكِ لتدخل روحك فتساعدك على الوصول لغايتك....

صفوة :كيف تعلمت فعل ذلك؟

الطفلة: حين مررت بعصور كثيرة رأيت فيهم من يساعد بوهم.. ومن يساعد لفهم... ومن يساعد ليزداد قوة... ومن يساعد لشر... الجميع أراد أي شيء سوى مساعدتي حقا

صفوة :وكيف كانت مساعدة جدتي؟

يكفي أن أخبرك انها حين نزلت مقبرة الدمام الانعكاسية لم تستطع التغلب على شرور قوة آل العاصي تجبرا... من فرط قوتهم أنذاك أمروا الحائط أن يخرج لها مايريدون فكان يسحب قوتها وكادت تموت فيها لولا مساعدة أخيها أكرم... تحصن بأيات من كتابكم المقدس ونزل للمقبرة حَملها وصعد بها للأسف.... وحين علموا آل العاصي بخروجها حية أقاموا المعاهد ونصبوا الفخ بأنها نزلت المقبرة الأصلية للدمام دون إذن مسبق من كتاب الأسرار....

صفوة: معنى ذلك انكِ لم تطلبي منها مساعدتك؟

الطفلة : ظلت فترة كبيرة تستجمع قوتها... وحين جمعتها استهلكتها في إرجاع كتاب الأسرار ليبقى تحت يد عائلتها صونا له وإكراما لما فيه وحتى لا يستخدموه في الشر

صفوة : ولما ساعدتيني ولم تساعدها؟ ولما لم تطلبي مساعدة آل العاصي وقت تجبرهم وقوتهم؟

الطفلة : فرق كبير بين قوة ملاحظتك وتركيزك وبين قلة تركيز جدتك وضعف نظرها... السحر وحارس السحر أضعافها.... وانتي أخذتي من قوتها في نطفة أبيكِ... حتى انكِ منذ الصغر كنت ترى مايتحمله عقل بشري ولم تخبري أحدا به... فعلمت بأن قوتك كبيرة... لا يخفى أحد رؤياه إلا إن كان استطاع وضع حارس فوق لسانه... انه أفة رغم نفعه.... أما آل العاصي راقبتهم كثيرا... شرورهم طفئت قلوبهم... ذكروني ببطش اليهود فينا... دوما يظنون انهم الأنقياء ومن دونهم عبيد وأداه.... إن استعنت بشرهم لن أصل لأهلي أبدا... سأنحصر مع الهلاك... ظللت انتظر أهل الخير يأتي من نسلهم من به قوة وأقسمت أن أعينه حتى ينتهي من ما أرسله الهه له.... حتى يتمكن من مساعدتي... ظللت قرون وسنوات انتظر من يفتح قبر الدمام الحقيقي من أهل الخير والصفوة لأعلم هل أتي زمنه أم لا... حتى رأيتك ورأيت الرجل معك

صفوة : مازن تقصدين؟

الطفلة : نعم.... في البداية اعتقدت انه هو.... ولكن حين أخرجتي المشعل الصغير وانار بيدك علمت انه انت المرسلة... لا يضيئ ذاك المشعل إلا بيد الصفوة..

صفوة : لما هذا الكتاب شديد السواد... ركزت ثانية وقالت لابد أن له طريقة لقرأته... ولكن كيف لا أعرف حتى الآن....

غلب صفوة النعاس فنامت بمكانها فوق السرير ولم تفق إلا على خبط أبيها على الباب ليوقظها

رؤوف : هيا أفيقي لم يتبق لدينا سوى يومان بليلة على اكتمال القمر.... أفيقي لنرى ماذا نفعل

صفوة : سألحق بك

مازن : سأخرج لأشتري طعام يكفينا مدة مكوثنا هنا

رؤوف : سأتي معك

صفوة : أبي لاتأكل أي شيء بالخارج... واذا مررت بآل العاصي انحصر عنهم وجانب شرورهم فهم لم يعجبهم حكم كتاب الأسرار

رؤوف : أعلم لا تقلقي

مازن : انا معه

ضحك الجميع وخرج مازن ورؤوف وبقيت صفوة ودخلت حجرتها وجدت الكتاب الأسود بمكانه... قالت كيف أبدأ... فكرت قليلا وقالت لن أفهم حتى أقرأ كتاب الدمام صاحب الزمام.... أخرجت الكتابين الأصلي. المصور من عينها بالمرأة وجلست لتفتح الكتاب الأصلي وتقرأ

بسم الله... صاحب الكون والزمان... لا حاكم إلا هو... ولا قوة إلا به... له الحكمة والجبروت... وله الطرقات والحدود... منه نعرف طريقنا وإليه نعود.... لا صاحب إلا لما سمى... ولا زمام إلا لما أعطى... ملكوت فوق ملكوت... وقلوب فوق قلوب... رؤى تخرج ورؤى تموت... ويبقى علم الأسرار عند رب الملكوت.... كل مايخرج من الكتاب حق... حدث وهو رؤى العين... إن صدقت وأمنت رأيت العجاب... وانفتحت لك من المعرفة أبواب... وانغلقت أمامك طرق العذاب... الطريق موصوف... وبالأوصاد محفوف... والحق معروف والباطل مألوف... انظر لقلبك واستخرت... ثم

استعن... كتاب الأسرار رابطك.... احفظه عن عين أعدائك تفز بغايتك.... كتاب السواد مدخلك لمعركة انت سيفها.... سينطق بالحق في دار الباطل... ولن تبيض صفحاته إلا حين يأمر رب الكون بطي السموات كالصحف... حينها يعود لدار الحق... من الآن اربط لسانك بخاطرك... لن تتفوه بحرف حتى تنهي مخبئك... مسموح لك بغلق جفنيك... لا علم فوق علم الله.... ولا يخرج علم الله إلا للصفوة.... اعقد لسانك واقرأ مرادك وقل بسم الله

أخذت صفوة تقرأ وكلما قرأت عينها تدمع فتغلق جفونها لإراحتها من وقت لأخر... حتى إذا ما سقطت دمعة من عينها على الكتاب رأت نفسها تقف أمام قبر الدمام... وكلما اشتدت ألم عينها تتساقط دموعها فتنفتح المقبرة وتدخل رغما عنها.... حتى إذا ما وصلت أمام الحائط ولم يعد يفصلها عنه إلا خطوة... سقطت دموع كثيرة منهمرة فطمست باقي الكلمات... واختلط الحبر في تلك الصفحة بالماء... وخرجت فجوة صغيرة كبرتها صفوة بيدها فنفتحت بها باب يليه ألف باب.... أسمائهم أسماء لله... المعروف منها والمخفي عن العباد... حتى انفتح نور شديد... يرق له الحديد... ويذوب فيه دم الوريد... وجدت الأنبياء كافة مجتمعين... والدمام شخص سليم... هو من حرس باب الدخول... ينتظر إذن من بالداخل للقادم.... أذنوا لها فمرت... انهمرت الدموع بتلك اللحظة عنوة... أشار لها الدمام بإلقاء السلام.... فقالت السلام عليكم خير خلق الله.... ظلت واقفة تنظر وتبتسم وتبكي فرحا من جمال ذاك المشهد... حتى أشار إليها الدمام فخرجت ودخلت معه غرفة أخرى... وأخرج لها صندوق صغير وقال لها ذاك وسيلة لغايتك.... إن نصرتي الحق وتمسكتي به عدتِ لمكانك ورأيتِ مكانتك... وان ضللتي لن ترى الخير أبدا....

خرجت صفوة سريعة من الأبواب وهي تنغلق أمامها كما انفتحت أمامها.... حتى وجدت نفسها أمام حائط الدمام... فسألته كيف دخلت ولم يدخل سواي والكتاب يباع على الأرصفة؟

الحائط ينير وتنكتب بالنور الكلمات : ليس كل البشر موكلون بحمل الرايات... ولا الجميع بنفس الثبات

صفوة: هل ما رأيت حقيقي؟

الحائط : للقلوب الطاهرة من الله نفحات... تعينهم على الثبات

خرجت صفوة من المقبرة وانغلقت أمامها وعادت لتجد نفسها تجلس فوق سرير غرفتها بمنزل جدتها وينغلق الكتاب لترفع وجهها الملئ بالدموع لترى أبيها ومازن يقفون قلقين عليها ويسألوها ماذا بك؟ ماذا قرأتي ألمك لهذا الحد؟

صفوة : ليس ألم هو خوف ألا أعود إليهم مرة أخرى

لم يفهم رؤوف ومازن ماتقول ولكن أسندها رؤوف وقال لها هيا لتأكلي فقد أحضرت لك شيئا فريدا... القشطة الطازجة التي تحبينها

صفوة : انا حقا جائعة للغاية

جلس الجميع حول الطبلية المستديرة ذو الأربع رجول يتناولون الإفطار... وما ان انتهوا حتى أخبرتهم صفوة بضرورة عودتها للداخل لتكمل عملها

رؤوف : انتظري سأتي معك

مازن : سأصنع ثلاث أكواب من الشاي وألحق بكم

دخلت صفوة ففتحت كتاب الدمام صاحب الزمام الأصلي فوجدت حروفه مبعثرة ووجدت الصندوق الصغير بداخله... أمسكته وذهبت للمرآة

تخرج الصندوق الصغير خاصتها وتخرج منه المفتاح الذي ما إن وضعته في الصندوق الذي أعطاها إليها الدمام حتى انفتح وخرجت منه آيات قرأنية منيرة... قال رؤوف تلك حصوننا بمعركتنا.

صفوة : نعم هي كذلك

أغلقت الصندوق وفتحت الكتاب الأسود وقالت بسم الله أكتب فيك بحروف من نور لتخرج لي طريقا يملئوه السرور... فرسمت في الصفحتين المقابلتين صفوة لمنظر طبيعي جمالي بديع... تزامن مع دخول مازن بالشاي الذي وضعه جانبا وذهب ينظر وهو يقول ماذا فاتني؟ سحبهم الكتاب ثلاثتهم وهم ينظرون بداخل المشهد ليجدوا أنفسهم في....

الفصل الثامن عشر

ما إن قالت صفوة كلماتها حتى رُسمت في الصفحتين المقابلتين منظر طبيعي أية فى الجمال... وما إن وضع مازن الشاي على المنضدة حتى ذهب لينظر إلى مافاته حتى سحبهم الكتاب ثلاثتهم بداخله وانقلبت الصفحة لمنظر طبيعي أخر مكمل للمنظر الأول ولكن هناك جسر خشبي بحبال مربوطة فيه

وقف الثلاثة يتلفتون حولهم منبهرين بألوان المكان... حتى أفاقوا على مرور رجل بجوار خيله يمرون من جانبهم ليمر من فوق الجسر... ذهبوا خلفه ومروا وهم مُمسكين بحبال ذاك الجسر مخافة السقوط بالنهرمن ذاك الارتفاع الشاهق... عند وصولهم الضفة الثانية وجدوا قرية الطفلة تقيم الاحتفالات بعيد اليهود والجميع بمظاهر احتفالات.... دخلوا المقر الديني الذي عرفه الجميع من وقوف الحاخامات أمامه يأخذون النذور من عامة الناس ويعطوهم البركة وزجاجات صغيرة ذو غطاء خشبي يكبس بداخلها الزجاجة شفافة تحتوي على شيء شبيه بالرمل الأحمر ولكنه بلون دموي أكثر.... فقال رؤوف هؤلاء الحاخامات هم من يقومن بالأضاحي من غير اليهود.... فلنراقبهم لنرى أين يقيموا تلك المجازر

مازن : أعتقد ستكون بخلف المعبد

صفوة :بل بعيدا عن مقر العبادة... متدينين اليهود لن يسمحوا بتلك المجازر... لابد وانها بمحل تابع لأقوى حاخام سلطة ونفوذ في تلك القرية

مازن :وكيف سنعرف من هو؟
رؤوف : نجلس بأقرب مقهى فقاطعه مازن خمارة تقصد في ذاك الوقت....
فأكمل رؤوف معك حق ونحاول أن نكتشف ذلك بأنفسنا
صفوة :ليست بفكرة جيدة... سنلفت النظر بهيئتنا تلك... لا تنسوا ملابسنا تلك ليست من ذاك العصر ومختلف تماما
رؤوف :إذن ماذا تقترحين؟
صفوة:لا أعلم بعد ولكن سننتظر قليلا لظهور أي إشارة تدلنا على المسار الصحيح
تلفتت صفوة يمينا ويسارا حتى رأت رجلا من بعيد يلوح لهم... فأشارت برأسها لأبيها ومازن فقالا لها يبدو أنه يريدنا أن نتبعه
صفوة :إذن تلك هي الإشارة
مشى الثلاثة مسرعين للحاق بالرجل الذي ما ان اقتربوا منه حتى رأوا شابا في أواخر الثلاثينات يبدو على وجهه القلق والحزن الشديد... يرتدي رداء ابيض بياضه مصفر يدل على كثرة استخدامه... نظر إليهم وقال لهم أشرت لكم لعلمي بقدومك...
مازن :كيف علمت؟ومن انت؟
الرجل: انا يندف ابن سيمار.... رأيتكم برؤياي وأعلم ماذا تودون أن تروا.... جئتم لمساعدتنا النجاة من اليهود الظالمين
صفوة أين تسكنون؟ .. هل بعيدا عن القرية؟
يندف :في تلك الجبال كهوف نستتر فيها عن أعينهم... إن وجدنا وزير الملك اخميسوت يسلبنا أرواحنا ودمائنا لأجل ملء قوارير الدماء لصنع

الفطائر.... لا زلت لا أعلم الدور القادم على من من أهلي... أخاف على أطفالي وزوجتي... أخرج أترقب الطريق وأبحث عن الفتات مخافة الهلاك قتلا أو جوعا... إن كنتم تستطيعون مساعدتنا فتعالوا معي إلى كهفي لأريكم عائلتي واترك طعامهم وانطلق معكم لغايتكم

صفوة: نحن سنأتي معك والنصر والتوفيق من عند الله

مشى الجميع خلفه حتى وصلوا إلى صخرة خضراء بداخل هذا الجبل الشاسع الخضار فطرق عليها ثلاث فنفتحت المغادرة ليجدوا الكثير من الأشخاص يحلقون بهم وينتظرون إليهم في رعب ظنا انهم رجال الوزير اخميسوت... طمأنهم رؤوف وقال لهم :لم نأتي إلا لخير... سنرحل بعد قليل... لم يكمل رؤوف كلامه حتى لفت نظره طفلة تحتضنها والدتها في رعب... أشار لصفوة هذه هي الطفلة.... قالت صفوة نعم رأيتها يبدو أن هذا منزلها...

نظر مازن ليندف وقال له هل هي ابنتك؟ وما اسمها؟

قال يندف: نعم ابنتي الكبرى اسمها اثيدا وهي ابنتي الكبرى...

خرج رؤوف ومازن وصفوة من الكهف وتبعهما يندف وأغلق الصخرة خلفه وقال لهم هيا بنا إلى مذبح الوزير الظالم أريكم إياه من بعيد

سار الجميع خلف يندف في ممرات طينية ضيقة بين الجبال الملتفة حول القرية... الذي ما إن اقترب من المكان حتى بدأ يتوراى خلف إحدى الصخور الكبيرة فهناك رجال يتشاورون أمام المذبح وانطلقوا جميعا باتجاه الجبل الأخضر الكبير.... اقترب يندف من المذبح ليرى نافذة مفتوحة ليرى منها أبشع منظر تراه عينك... جثث معلقة من أقدامها رأسا على عقب أسفل منها برميل ممتلئ أكثر من نصفه بالدماء.... ومناضد مستوية موضع فوقها جثث لأطفال مخنوقة بعد الذبح فقال رؤوف له لما يفعلون بهم ذلك؟

يندف: لأخذ أخر قطرات من الدماء بقلوبهم...
صفوة: كيف أستطيع تخليهم؟ لا أعلم مهمتي حتى الأن
نظرت حولها رأت أرواح لتلك الجثث الموجودة بالداخل فاقتربت منهم واستعجب مازن ورؤوف ويندف فهم لم يروا مع من تتحدث... قالت صفوة للأرواح... كيف أساعدكم ماهي وجهتي؟
قالت الأرواح... افتحي القنينة السوداء الكبيرة هناك تنفك أغلالنا... واكسري القنينة الصفراء تنصهر أحلامهم وتهرب أرواحنا.... وانتظري شروق الشمس ليختلط شعاعها بصعود أرواحنا وتحررها لتعودي من حيث أتيتي
رجعت صفوة إليهم وأخبرتهم بكلام الأرواح إليها... وقبل أن يتكلم أحدا منهم سمعوا خطى أشخاص يقربون من المذبح ويجرون معهم أطفال ونساء... ما ان ركز يندف بهم حتى رأى ابنته وأهل بيته من الأسرى ... فأمسك مازن بفم يندف يمنعه من الصراخ حتى لا ينكشف أمرهم... ظلا يتابعون مايحدث فأخبرهم كبير حرس الوزير الظاهر من هيئته الهيبة ان يبدأوا بالأطفال ليملأوا البراميل النصف ممتلئة قبل البدء بملئ البراميل الجديدة.... فبدأوا بابنة يندف فذبحوها أمام الجميع فصرخ يندف وصفوة ومازن واختلطت صرخاتهم مع صرخات باقي الأسرى فلم ينتبه الحرس وتركوها تُصفي فوق البرميل المقرب على الامتلاء...خرج جميع الحراس فالليل قد أظلم وحان موعد رحيلهم لبيتهم وأغلقوا المذبح ووضعوا الأسرى بأقفاص كبيرة وتركوهم ورحلوا... ظلا رجلين يقفان حارسين لباب المذبح يتناوبون على حراسة النوافذ والبوابات الأمامية والخلفية... فأخبرهم يندف أن يجعلوا قتل الحارسين له فقط يحمون ظهره من مجئ الأخر وهو

يغتال الأول.... فوافق مازن ورؤوف وحميا ظهره وهو يتسلل منخفضا ليأتي من خلف أحدهم ويلتف بساعده على رقبته ويذبحها من الخلف ويتركه يلقى حتفه ويسرع ليمسك بالأخير ويفعل مثل مافعل بالأول ويكسر إقفال البوابة لينفتح لهم المذبح فتدخل صفوة إلى القنينات السوداء تفتحها جميعها ويساعدها مازن ورؤوف وهما ينظران إلى يندف الذي سقط على ركبته بجوار جثة ابنته اثيدا التي أنزلها من تعليقاتها وأخذ يحضنها ويبكي كثيرا حتى آفاق على بكاء زوجته فذهب وكسر قفل قفص محبسهم فخرجت إليه واحتضنته وظلا يبكيان وأخرجنا الجميع وفروا بالهرب...

انتهى مازن ورؤوف من فتح جميع القنينات السوداء وتطاير مابها حتى فرغت.... وظلت تبحث عن القنينات الصفراء وظلت تكسرها واحدة تلو الأخرى حتى فرغت من جميعها... وكانت في كل مرة تكسر واحدة تبكي من شدة ألمها على مايدور حولها وخاصة على منظر الطفلة اثيدا المزبوحة أمامها...

أفاقت صفوة من حُزنها على احتضان رؤوف لها ويقول لها هيا بنا الآن فقد اقتربت الشمس من الشروق.... قالت بل لابد من فتح جميع النوافذ لتخرج جميع الأرواح إلى الخارج لتصعد لطريقها إلى السماء... أخذ مازن يكسر الخشب الموضوع فوق النوافذ الواحدة فوق الأخرى حتى انتهى من جميعها ورؤوف يفتحها خلفه لتنفتح جميعها ويخرجون مسرعين مع دخول أول شعاع لشروق الشمس في مدخل المذبح لتتصاعد الأرواح وتنسكب الدماء على الأرض لتجري كنهر دم يشق طريقه إلى القرية التي ما إن يراه الناس حتى يهرعون ويصرخون ويقولون لقد حلت علينا اللعنة ويبكون

الحاخامات ويضربون رؤوسهم بالحوائط ويقولون تلك أية نبينا موسى وابتلاء لنا لمعصيتنا... يجب علينا قتل أنفسنا لتخليص أرواحنا... وبدأوا بقتل أنفسهم بأيديهم فزادت الدماء وخرج الشيوخ والرجال من الغارات والمخابئ ليروا ماذا يحدث فوجدوا الحاخامات المتدينون يقتلون أنفسهم والقتلة والوزير اخميسوت يبكون من هول المشهد لم يدرون بعد من أين تأتي الدماء ولكن عصيانهم يمنعهم من قتل أنفسهم والامتثال لتعليم التوراة أفاقت صفوة على يد صغيرة تمسك بيدها لتنظر لأسفل لتجدها اثيدا التي تخبرها بامتنانها لتخليص روحها وأرواح من معها وانها الأن حرة وتستطيع الصعود للعيش وسط أرواح عائلتها... احتضنها اثيدا فجأة وهمست بأذنيها عدة كلمات ابتسمت لها صفوة وصعدت روحها للسماء وهي نتظر لصفوة ومازن ورؤوف وتبتسم وتسحبهم أشعة الشمس القوية لتعيدهم لمجلسهم بغرفة صفوة بمنزل جدتها ليجدوا أنفسهم يجلسون وانغلق الكتاب الأسود...
نظر رؤوف بساعته فوجدها السادسة والنصف صباحا فأخبرهم بضرورة النوم قليلا ولو لساعتين ليستعدا لمناقشة معركة الغد...
صفوة :انا حقا منهكة ولكن على أولا حفظ الكتاب الأسود بمكانه
مازن لرؤوف :هيا بنا نحن وتركها لتستريح
وقفت صفوة أمام المرآة لتفتح عينها وتضع الكتاب بتلك الصدفة... وما إن أغلقت عينها حتى رأت بالمرآة.....

الفصل التاسع عشر

وقفت صفوة أمام المرآة تضع كتابها في الصدفة الكبيرة وما إن انتهت وبدأت بغلق عينها لتعود لوضعها الطبيعي حتى رأت بالمرآة حارس السحر خلفها... التفتت لتنظر إليه وجدته قد اختفى.... بحثت بعينها في جميع أركان الغرفة فلم تجد شيئا فهرعت لباب الغرفة تفتحه لتستنجد بأبيها فوجدته يقف أمام الباب وخلفه إحسان تبتسم إليها بسمة خبيثة مليئة بالشر والحقد وقالت :إلى أين تذهبين؟ هل تظنين انه بامكانك أن تهربين؟... عقدت لسانك بأسماء من المعبود... وألقيت عليكِ لعنة الموت بالأخدود.... أسحب قوتكِ وأفرغها بالأرض ومن الأرض إلي تعود.... شعرت صفوة باختناق شديد مع ترديد إحسان لتلك الكلمات وأخذت تسعل مرارا وتكرارا دون فائدة من خروج صوت... حتى أفاقت على يد توضع فوق كتفيها لتلتفت لتجده بطليموس يقرأ عليها لا معبود غير الله... بسم الله بجميع اسمائه وصفاته... بسم الله الحفيظ من شر واصمِ مخلوقاته... جميع من في الكون عبيد له... مسعرين وجوههم إليه... مذلولين بين يديه..... لا صوت يعلو فوق اسمه... ولا ينغلق طلسم بوجود جنده مستعنين به... الله الله... المبطل لما صُنع... المقوي لمن استعّن... الحق منه والعدل هو... الله الله... لا قوة إلا بالله... انفكت عقدة لسان صفوة لتصرخ من شدة الألم وتجد إحسان وخادم السحر يضعون أيديهم فوق أذانهم ويسجدون في الأرض من شدة الألم...

انفتح الباب من رؤوف وخلفه مازن يقف بعيدا قليلا يحاول ألا يكشف بنظره الغرفة ولكن فضوله وقلقه على صفوة حين سمع صراخها حال دون أن يسترق نظرة خاطفة يرى فيها ماذا يحدث فلمح بطليموس يقف ساندا صفوة فأزاح الباب ليدخل ليجد إحسان والخادم بالأرض يصرخون...

رؤوف :ماذا يحدث هنا؟

صفوة وهي تلقى بجسدها بحضن أبيها : حاولوا سحري كي يفوزوا بمعركة الغد... ولولا بطليموس لكدت الآن تحت الأرض إلى أن تنتهي المعركة

وقفت إحسان واختفي الحارس وقالت.... لن أتركِ تنعمين بالفوز ماحييت.... وسأدفعكم ثمن أزلالي ذلك دما... وظهر الخادم للحظة واختفوا سويا...

رؤوف : سأنام هنا بجوار صفوة... اذهب انت يا مازن إلى الغرفة الأخرى... لا يمكنني تركها بمفردها

بطليموس : وانا سأحرسكما لا تقلقا.... ومعي جنود الملك بأريوس قد وصلوا للتو يحيطون بجميع أركان المنزل أعلاه وأسفله فلا داعي للقلق

صفوة : أشعر بإعياء شديد... لا استطيع النهوض ولا رفع يدي لأمسك شيء

رؤوف : لا أعلم حقا ماذا يحدث لكِ انا اكتشف معكِ كل شيء

بطليموس :كانت هناك حرب بداخل جسدك بين جنود الملك بأريوس وجنود حارس السحر ومع علو صوتي بكلمات فك الطلاسم كان الفوز حليفا لنا ولكن كعادة كل الحروب تترك الأرض خلفها متأثرة بالألم... كل ما تآثر بجرح باطني يؤلمك ظاهريا... لا ترينه ولكن تشعرين به.... لقد عدتي لتوك من معركة دامية مع يهود قرية اثيدا... جسدك منهك وقوتك بالية... واخترقوا

إحسان وحارس السحر حصونك في محاولة منهم للوصول لقلبك.... يريدون دق أوصادهم وأوتاد سحرهم فوقه... فما لم تعرفوه بعد أن السحر يقوي بقوى الجسد المستضيف ويضعف بضعف الجسد المستضيف... وجسدك قوي... مُنهك قليلا ولكنه قوي... لم يتأثر كباقي الأجسام التي نزلت مقبرة الدمام...

صفوة : كيف علم حارس السحر بعودتي من الكتاب الأسود وقرية اثيدا؟

بطليموس:حارس السحر هذا هو سليل سحرة أحبار اليهود... جن من آلاف الجن المسخرين من قِبّل سحرة اليهود... العصور موصوله بحصون... ومفاتيح الحصون كتابات... والكتابات مشفرة بطلاسم... وفك الطلاسم مع الصفوة... والصفوة أخيار وأشرار... لا تنفتح تلك الحصون إلا ويعلم حراس الأسحار... معرفة غيبية.... لا يعلمون ببواطن ماحدث... كمقال تقرأين عنوانه... وتشتاقين لمعرفة تفاصيله وأركانه....ولكن مايخرج إليهم فقط مايستطيع أصغر جني منهم استيراق الأخبار بسمعه...

صفوة : كنت أعرف أن هناك صلة بين مايحدث بقرية اثيدا وبما نحن فيه الآن

بطليموس: تلك الدنيا قرية صغيرة... بذور ماتزرعين يحصدها أحفادك... ولا يحصدون فقط ويذهبون... مجبورون على التدبر ومعرفة ما آلت إليه الظروف ليعرفوا إلى أي سلالة فريق ينتمون

صفوة : وها انا أفعل... أحل الأمور المعقدة القديمة... وأدخل بحرب جديدة ستصبح ذات يوم لأحفادي قديمة....اتركني ارتاح قليلا فبداخلي بركان خامد لا أقوى على ايقاظه.... لابد أن أستعيد قوتي وثباتي قبل الليل

وضعت صفوة رأسها فوق وسادة السرير... واختفي بطليموس وظل رؤوف ينظر إليها مخافة أن يحدث لها مكروه....

رن جرس الهاتف الخلوي بيد رؤوف فإذا بأمال تحاول الأطمئنان عليهم... طمئنها رؤوف وأخبرها باشتياقه إليها وإلى بيته وبرغبته في العودة سريعا وبسلامة إليها مع ابنته الوحيدة... دعت أمال له ولابنتها أن يعودوا سالمين وأرسلت سلامها لمازن منها ومن أختها

أغلق الهاتف وأسند برأسه للخلف على الحائط وذهب بنوم عميق

الساعة الآن تدق الثانية عشر ليلا... يعم السكون المرعب بداخل منزل جدتها... الجميع نائمون بثبات.. كأجساد ألقت عليها تعويذات... يتحرك البيت جدران ونوافذ وطرقات... يُغير الحدود والزوايا ليصبح مدخل البيت بالجنوب بدلا من الشمال... ليسمح للشمس تدخل من النوافذ وتخرج من الباب... مع تحرك البيت أضيئت مصابيح البيت كافة... تضيئ وتنطفأ وكان أحدا ممسكا بمكبس الضوء يلعب به.... خرجت أدخنة من الطرقات... وتصاعدت ألهبة نيران من الساحة إلى السماء.... يدخل بطليموس حينها إلى غرفة رؤوف وصفوة يستفيق إياهم قفا سريعا... دقت طبول الحرب... لم ينتظروا لحلول الصباح.... إحسان فتحت كتاب الأسرار... لعبت بالزوايا والأقدار... تعويذات تلقى والخروج يحتاج الكثير من الأفكار

صفوة: لا تقلق.... قل لن يُصيبنا إلا ماكتب الله لنا

بطليموس: اخرجوا جميعا بالخارج... سيدور البيت دوران سريع حول القمر... تلك تعويذة النصر

صفوة : لا تقلق... أعطني القليل من الوقت وسأخرج إليكم... اصطحب أبي ومازن بالخارج وأشغله لعشر دقائق وحسب

مازن :ماذا ستفعلين؟ لن أتركِكِ بمفردك

صفوة : بل ستتركني... اذهب إلى منزل ثريا وأحضر سفعة نخل من كل نخلة بأركان منزلها.... هكذا تكون ساعدتني.... نظرت لبطليموس.... احمي ظهره بأقوى جنود الملك بأريوس ألا يصيبه أذى... بطليموس لكِ ماتريدين أعطى بطليموس أوامره لجنود الملك بأريوس... المرتدين لملابس بلون البحر الأزرق المتدرج من الفاتح إلى الغامق... كتف به قماش والآخر لا... يبدو بشكله ملابس الإحرام ولكن بتدرج الأزرق وليس الأبيض... والقاعدة مثلهم ولكن بتدرج الأزرق إلى الأسود من أعلى لأسفل...

نظرت صفوة بمرآة غرفتها... وهمت بتكبير عينها لتجد عينها تنسحب سريعا ليظهر أمامها الملك بأريوس يعطيها نسخة كتاب الأسرار التي قامت صفوة بتصويرها سابقا ليخبرها أن أسراره بقدر قرأتها وليس كالأصلي... فقد حاول هو وملك الطير فك شفراته ولكنه موصود من قبل حارس السحر... هو الآن يعطي تعليماته بالشر المكون بنبض قلب حامله الخارج من كف يده.... تلك حالة الكتاب... أمسكي به واستعيني بالله... واربطي بينها وبين كل ماجمعتي... سنلحق بك انا وملك الطير قبل أن تخرجي من البيت

أخذت صفوة الصورة المصورة من الكتاب.... وبدأت تفتح صفحاته تبحث عن فصل النجاة... وجدته أمامها... خمس سطور كلمات... والباقي سواد... اذا أردت النجاة... استعن بالله... اركب قارب الأمان وجدف بمجداف الازلام... تقل رياح الخصم بيده.... ويصيح صارخا من ضعف قوته...

هيت علامات لا يكملها سوى الدمام.... صورته سوداء وباطنها أشياء... إن اجمعتها بقاربك أصبحت ببر الأمان... وان تركتها جميعها... أصبحت صاحب الزمام.... اختيارك قدرك... وقدرك عند الله في كتاب لا يضل ولا يَبلي فتحت صفوة الصندوق بعينها لتخرج كتاب الدمام صاحب الزمام.... وأخذت تبحث عن باب العلامات... وجدت باب خبايا الأشياء... وجدت صورة بنفس قياس السواد بتصوير كتاب الأسرار... تلك الصورة لبيت جدرانه الأربعة شلال ومداخله الأربعة أهضاب لجبال... من يدخل منها تنفتح المياه كستارة من ماء يدخل شخص إلى البيت فيرى أربعة مرايات... بكل مرآة انعكاس لشيء لا يقف أمامها... انعكاس المرآة الأولى... قطعة خشب... انعكاس المرآة الثانية مشعل من ذهب... انعكاس المرآة الثالثة شراع من لهب... أما انعكاس المرآة الأخيرة فكان لها... أمعنت صفوة النظر فوجدت تلك المرآة حقيقية... وتلك الأقفال لن تغلق إلا بها.... أخذت كل الأشياء ونظرت حولها فرأت قارب بتلك الصورة... وضعت به كل الأشياء وقامت بسحبه للخارج... فدخل عليها مازن وبطليموس بسفع الأربع نخلات..

مازن: ماذا تريديني أن أفعل بها؟

صفوة: ضع تلك السفعات مجاديف بداخل القارب وقم بربطهم جيدا

بطليموس : انتم ثلاثة من سيكون الرابع؟

صفوة: بل اثنين... انا لدي عمل أقوم به

بتلك اللحظة دخلت دينا وأبيها البيت مع رؤوف... وقالت دينا لصفوة... شعرت أنكِ بحاجة إلى فلم أستطع الانتظار للصباح بمجرد أن أخبرتني والدتك... وأصر أبي أن يحضر معي... نحن بأمرك انظري ماذا تريدين...

احتضنها صفوة بشدة ونظرت لوالد دينا وقالت لهم شكرا لمجيئكم.... كنت بحاجة إليكم.... نظرت لبطليموس وقالت ألم أقل لك... إن الله معنا

صفوة: دينا... أبي... والد دينا... مازن كلا منكما بمجداف القارب.... بطليموس أؤمر رجالك فليركبوا الأشرعة... وحين تنتهي اصنع سارية بتلك القطعة من الخشب وأمسك بالزاوية.... نظرت بالخارج فوجدت ملك الطير ينظر إليها... وقت الإشارة أبسط جناحيك واصنع عاصفة....الملك بأريوس انتظر اشارتي وسأخرج إليهم الآن... أشار الجميع بأنهم مستعدون.... أمسكت المشعل بيدها وفتحت باب المنزل وخرجت إليهم بمفردها ووقفت فوق الأربعة سلالم التي أمام المنزل فوجدت جيش كبير وعتمان واسعد وإحسان بالمقدمة... وطيور النورس تحلق بالأعلى ومعها خفافيش تظهر وتختفي.... تقدمت إحسان وقالت.... بسطت يدي لأسترد قوتي وليكن من حولك رهن اشارتي... وما بقلبك نبضه بيدي... انتـــ.....أوقفتها صفوة بيدها فعم الصمت المكان... تلفتت إحسان حولها فلم تفهم مايدور... أشارت صفوة بإيماءة رأسها ناحية الشمال لملك الطير فبسط جناحيه وقبضهما فصنع عاصفة قوية... فقامت إحسان بصنع تعويذة لحماياتهم من العاصفة.... ونظرت لصفوة وابتسمت بخبث..... فصرخت صفوة على الملك بأريوس وقالت أغرقهم الآن... فأخذ يخرج لهم أمواج عاتية ويلقيهم بها فلم تستطع إحسان تكبير الهالة بتعويذتها لحماية الكثيرين دونها...فخرج الكثير من هالاتها وغرق بالأمواج العاتية....وفجأة جاءها المدد بكثير من المحاربين من أسفل الأرض والبحر جميعهم تابعين لقوى الظلام... ففاق أعدادهم أعداد جيش الصفوة...أشارت صفوة لوالدها فأخرج القارب وجدف الأربعة

للوصول لهالة حرسة السحر لأخذ الكتاب في تلك الأمواج العاتية والرياح العاصفة... استمرا في التجديف ومصارعة الأمواج والعاصفة ومحاربين قوى الظلام يحاولون الوصول إلى سطح القارب لإغراقهم وجنود الملك بأريوس بقيادة بطليموس يحيلون دون حدوث ذلك... مع صعود أول شخص من قوى الظلام على سطح المركب بدأت طيور ملك الطير بقذفهم ..يسقط واحدا ليصعد أخرين ..وما إن ازدادت أعدادهم حتى نظر رؤوف لصفوة وقال بشفتيه اننا نهلك لضعف أعدادنا... لن نستطيع الصمود أمام سحرة البحار لم نكن نحسب حسابهم... شعرت صفوة بالأسى مع نظرة إحسان إليها بالنصر والشماتة فاستفاقت صفوة على أحد يمسك بيدها... نظرت بعينيها لأسفل لتجد....

الفصل العشرون والأخير

شعرت صفوة بيد تمسك يدها فنظرت للأسف لترى اثيدا تبتسم لها.... لقد ساعدتني ونصرتي أرواح قومي على قوى السحرة وقد حان الآن دوري في مساعدتك... انظري للخلف... رأت صفوة أعداد لا حصر لها من أهل اثيدا وقومها يرتدي النساء منهم قمصان بيضاء طويلة وفوقها رداء ليس له أكمام مصنوع من الجلد المختلف أنواعه من الماعز والأغنام وباقي الحيوانات... أما الرجال فيرتدون الزي القريب للزي اليوناني ولكنه مصنوع من الجلد يغطي الخصر إلى الركبة وخلف ظهورهم أحمالا بها أسلحة مختلفة لا تعلم ماهيتها ولا كيفية استخدامها... والأطفال أيضا قادمون الفتيات منهم يرتدون الثوب الأبيض الطويل مثل اثيدا... والأولاد يرتدون مثل آبائهم ولكن جسدهم العلوي مغطي برداء من الجلد دون الأكمام.... وجميعهم يرتدون أحذية تشبه الصندل مربوطة فوق مفصل القدم.... جميعهم متحمسون... مسلحون بأسلحة بدائية الصنع... منها المنزلية ومنها المصنعة بيد أمهر الحدادين.... ابتسمت صفوة ودمعت عينها فبتسم الجميع لها وأخبرها والد اثيدا بشوقهم للوقوف أمام الظلم ولو لمرة واحدة... ليس انتي فقط من تريدين الفوز... نحن أيضا نتوق لذاك الشعور... بعد أن ساعدتينا في استعادة حريتنا المنهوبة... نحن معك ماذا تأمرين؟

بطليموس ظهر من خلفها وقال لها الملك بأريوس يخبرك انه لو أوقف الأمواج لردوا بسحر أقوى ولن نستطيع إخراج أهلك من القارب قبل حدوث تعويذة من قِبلهم... انظري ماذا تريدين؟

صفوة : أخبر ملك الطير أن يرسل جنوده وجميع الطير أريد السماء سوداء من كثرة الطير فوق رؤوسهم.... وأبلغ الملك بأريوس أن يسحب كل الأمواج لينسحب جنود قوى الظلام فلا يستطيعون القتال سوى بالمياه.... وأرسل لي قادة الملك بأريوس يعيدوا ترتيب صفوف آل اثيدا

بطليموس :أوامرك قيد التنفيذ واختفي

صفوة لأثيدا : أريد أن أطلب منك طلب صغير

اثيدا :لك ما تطلبين

صفوة: أريدك أن تصبحي مخفية من جديد لتدخل هالة إحسان وتأتيني بالكتاب... وانا سأتولى تشتيتها هي ومن معها... ولكن أسرعي بحذر ولا تظهري نفسك مهما حدث

اثيدا : لا تقلقي

نظرت صفوة لهالة إحسان التي أصبحت باهتة بسبب استنزاف قوتها لحماية أقاربها وترى بعينها انسحاب سحرة الظلام الأتين من البحار لتجد تعداد جيشها في انحسار... فتفتح كتاب الأسرار وتقرأ بصوت جهوري ذكوري جبار.... يا ساكني الجبال والأرض احضروا... أهل الصفوة قد تطهروا... الملوك تحيرت... والنفوس تجبرت.... اصمدا للأبد.. ارفعوا أصوات المدد... ادفعوا بأشواك وعِدَّد... أروني النصر بالعدد... انصروا الثأر الأسد....

خرجت حزمة كبيرة وعريضة من النور تصل تشق الطيور المحارب من الطرفين لتصل لعنان السماء وتنزل أسهم زرقاء تسقط على الجميع دون التدبر على من تسقط.... تسقط كأمطار متداخلة.... احتمى الجميع ووقفت الحرب لعدة دقائق فخرجت صفوة خطوتين للأمام ونزلت على السلالم الأربعة ونزلت بركبة مثنية وسندت بيدها عليها وقدمها الأخرى خلفها ويدها فوق الأرض تلتمس التراب وتقول.... بسم الله انغلق كتاب الأسرار دون اخبار للأشرار... فانغلق الكتاب بيد إحسان واختفت حزمة النور.... فهرعت إحسان في محاولة منها لوقف تعويذة صفوة في محاولة منها الآن للنجاة

نظرت صفوة إليها مبتسمة وقالت.... بسم الله المخفي والمبطن لجميع النذور.... بسم الله الظاهر لخفايا الأمور... أفك هالتك وأسحب عزوتك.... بسم الله انصرني فإني مغلوب فانتصر.... صرخت إحسان وألقت الكتاب فسقط على الأرض في محاولة منها لمنع كسر هالتها ولكن محاولتها باءت بالفشل... حاولت الإمساك باخواتها وأولاد أمامها فهم ينشدون إلى الفريق الأخر مكبلين من غير أصفاد مرئية.... مُسيرين بفعل جنود الملك بأريوس الخفية.... بتلك اللحظة صرخت إحسان صرخة مُداوية فحارس السحر بداخلها يصرخ مستنكرا ما يحدث.... فسقط الكتاب من اثيدا التي أخذته على غفلة من إحسان التي صمتت حين ارتطم الكتاب بالأرض من يد اثيدا.... لم تظهر اثيدا نفسها كما أمرتها صفوة ولكنها أخذت الكتاب وما إن همت مسرعة بالرحيل حتى أشارت إحسان إليها فأمسكت بعُنقها فظهرت اثيدا جسديا فبتسمت إحسان لصفوة التي صرخت بالملك بأريوس الآاااان

أصدر الملك بأريوس أوامره لجنوده فتداخلت جنوده مع آل اثيدا في قذفهم بالأسهم والبال فقام جنود إحسان بعمل درع من الجنود أمامها لحمايتها.... وما ان هَم اسعد بالذهاب لأخذ الكتاب وجد الملك بأريوس أمامه بنفسه بوجهه المثلث والعين الواحدة بالجبهة والعينين الاخرتين على جانبي جبهته يضع قدمه الكبيرة المزدوجة الأقدام بوصفها الهدام فوق كتاب الأسرار... فأصاب اسعد الفزع وحاول الهروب منه فسقط... وأخذ يزحف للخلف حتى وصل لقدم إحسان التي بدورها سقطت على الأرض في إعياء شديد وسقطت معها اثيدا التي فرت هاربة لجوار صفوة.... لقد خرج حارس السحر من الأجساد... ونزل لأرض المعركة في ثبات... وجهه الأحمر البركاني وقرون جبهته العريضة.... جسده الحيواني من الأسفل بأقدام الكانغرو الثمين الطويلة والمريبة والجزء الأعلى منه على هيئة بشر بأضلاع قفصه الصدري الظاهرة والبارزة... جميع الجسد مغطى بالشعر الكثيف... وقف بطليموس بساحة المعركة وتوقف عن القتال... فتابعه الجنود ينظرون إلى ماينظر إليه... فظل الجميع ينظر لحرب الملكين... بدأوا بالصراخ أمام بعضهما فتساقط الجميع على الأرض يضعون أيديهم فوق أذانهم محاولتين الهروب من الصمم... ازدادت صرخات الملك بأريوس من شعوره بضعف صرخات حارس السحر الذي بدأ ينزوي قليلا محاولا ألا يسمع شيء ولكن محاولات تبوء بالفشل.... أشار الملك بأريوس لتابعه فأتى إليه وأخذ الكتاب وصار به ووضعه بقارب رؤوف الذي ما إن أخذه حتى أضاء القارب نورا عظيما حرك جميع من على الأرض وصمت معه صراخ الجميع... علم حارس السحر بخسارته فظل يصرخ ولكن صوته تداعي وانخفاض... لا يعلم كيف

بقوته انحصر... رأى الكتاب تنفتح ورقاته.... وسُحب الشراع ليصنع غلافا جديدا له باللون الأبيض اللؤلؤي الباهر.... ليعلن عن دخوله لعصر آل الصفوة.... ويرتفع ليقف فوق قطعة الخشب المصنع منها سارية القارب فيعلو ولا يقف شيء أعلى منه.... فهبطت جميع الطيور بأمر ملك الطير وهو معهم إلى الأرض في استيكان وامثال لنور الكتاب.... وانطفأ المشعل بيد صفوة المضاء بنار الأرض.... ليضيؤه الكتاب بنوره وتظل صفوة حاملة له ليركع الجميع أمامها في إعلان من الكتاب بأنها حالته التالية...

تحدث بطليموس بصوت جهوري يسمع أقاصي الأرض بغيباتها..... هؤلاء ملوك الأرض والسماء وضعهم الله لحفظ توازن الكون.... وهم وضعوا أهل الصفوة منفذين للأحكام... الجميع يلتزم بالعقود والأقلام... ولا يعلو قلم فوق حكم كتاب الأسرار... نظر لآل إحسان وقال :جثث من بمقابركم بأمر آل الصفوة.... ونظر إلى صفوة التي قالت.... على جميع مخلوقات الله السلام.... الزاعن لحكمه والمغصوب نتيجة فعله.... أرواح زويكم من قتلى تلك الحرب بأمر مني يدفنوا بمدافن آل الصفوة أحميهم من عذاب ناركم.... لم أستطع هدايتهم أحياء ولكن لن أحرقهم أموات.... الكتاب بيدي.... أسير بتعليمه التي لا يعلو عليها شيء سوى كتاب الله.... قبر الدمام أسراره بيدي وماهيته علمتها بعلم الله الذي أعطاني إياه.... امثلوا للأحكام تظلوا بأمان.... بسم الله أغلق دوائر السحر والأذى... بسم الله المبدئ لما ابتدأ.... والناهي لما انتهى.... بسم الله الجم حواسكم بلجام من نور... بسم الله ابطل منطوقكم ان أراد بالناس الشرور.... بسم الله انتصر على سحر الكتب والسطور... بسم الله لا يعلو فوق علمه شيء...

امتثل بطليموس وجنود الملك بأريوس وجنود ملك الطير للأوامر وبعد أن ركعا أمام صفوة تصديقا منهم بحكمها أخذ الجميع بدفن جميع الجثث بمقابر كبيرة تابعة لآل الصفوة.... أدارت صفوة البيت ووضعته بوضعه الأصلي.... أدخلت القارب بلوحته في كتاب الدمام... ووقفت أمام المرآة الرابعة وقالت.... سيدي الدمام... بت أعلم الآن مكانك وهيئتك... لم تستطع الخروج من جمال ذلك المنظر... هب شعور الارتياح بداخلك فتناسيت واجبك فتم حبسك بتلك المرآة من ذاك الوقت.... ولكن المرآة تسكنك بحياتك فيها... أما بمماتك فكانت قبرك وجعلت لك منها هبة.... من يدخل عليك قبرك تجيبه بحروف من نور... انت لست بذاك الغرور.... انت ميت ولكن روحك بالكتاب والقبر تدور.... إليك مني ومن آل الصفوة السلام... بدون نصائحك مافزت بالحرب.... أعلم انك حين كنت بمحلي لكنت انتصرت... فإيمانك سيؤهلك للنصر.... سقطت قطرات من الماء من المرآة فقالت صفوة لا تبكي... بِت الآن تعرف من آلت إليه الأمور والأحكام... لن أنساك بدعواتي ما حييت.... فأضائت كلمات في المرآة يكتبها بروحه... ولن أبخل عنكِ بمشورتي ماحييتي.... احكمي ولايتك بالعدل... وسلمي عُهدتك لخليفتك بصدق... تصلين إلى البر برفق... والأهم تكسبين نفسك بحق

ابتسمت صفوة ووضعت كتاب الأسرار ذو الغلاف الأبيض الجديد بداخل القارب بالصورة في كتاب الدمام وانسحبت من الصورة وأغلقت كتاب الدمام ووضعته بعينها في مكان جديد آمن... وخرجت إلى الجميع لتحتضن آباها وتبتسم لمازن وتحتضنها دينا ويتنفس الجميع نسمات شروق الشمس لتعلن بداية عهد جديد.... عهد آل الصفوة..

تمت بحمدالله

يمكنك الدخول في عالم أخر من الروايات القصيرة والمميزة يمكنك الاطلاع عليها علي صفحة الكاتبة سحر عبد القادر علي موقع التواصل الاجتماعي (Facebook)

#غرفة_الحب_الغارقة

#طاقة_جهنم_الباردة

#لُغز_القطع_الملعونة

#قبل_ان_يمر_الزمان

#إنتقام_جثة_زوجتي

#إستغاثة_غريقة_البحيرة

#جريمة_محطة_الرمل

#جريمة_المقبرة_الصامتة

#بوابة_جهنم_المظلمة

#لُغز_القطع_الملعونة

#قربان_الشجرة_الملعونة

#صديقي_المتهم_ظلي

#جريمة_ثُلاثيِّة_الأبعاد

#جريمة_الرَّوح_الحالمة

#خيوط_الوصل_القاتلة

#صرخة_الطفل_الأبكم

#غيمة_الفنار_الملعون

#نظرات_الشك_القاتلة

#لُغز_بالصُدفة_البحتة

#ظُلمات_النفس_الأثمة

#جريمة_الأنفاس_الحارقة

الفهرس

البداية..... 7
الفصل الأول 10
الفصل الثاني 16
الفصل الثالث 19
الفصل الرابع 23
الفصل الخامس..... 29
الفصل السادس..... 36
الفصل السابع..... 41
الفصل الثامن 47
الفصل التاسع 51
الفصل العاشر 61
الفصل الحادي عشر 73
الفصل الثاني عشر 79
الفصل ثالث عشر 87
الفصل الرابع عشر 95
الفصل الخامس عشر..... 104
الفصل السادس عشر..... 113
الفصل السابع عشر..... 119
الفصل الثامن عشر 125
الفصل التاسع عشر 131
الفصل العشرون والأخير 139

writer
operation

كم لديك من السطور الجميلة التى اخذت
منك الكثير من المجهود و الاعتناء
لكى تكون افضل ما يمكن
لكى تعبر بها عن شعور داخلى
لم تستطع ان تشاركه مع احد غيرك
مهما كانت سطورك
قصص .. روايات .. اشعار .. مقالات
باللغة
العربية او الإنجليزية او الفرنسية

تواصل معنا
لتشارك سطورك مع العالم

01122380443

writer
operation
شارك
سطورك
مع العالم
SCAN ME